موسى صبري

قصة ملك و٤ وزارات

كيف كانت تحكم مصر
من ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢
إلى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢

دار القلم

هـــذا الكتـــاب

- تحقيق صحفى عن اسرار الحكم وتطور الأحداث فى مصر منذ حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ حتى قيام الثورة ثم طرد الملك فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢.
- يقدمه لنا الأستاذ موسى صبرى رئيس تحرير جريدة الأخبار.. باسلوبه الرشيق وتحليله الدقيق وعرضه الممتع ولماحيته الأخاذة . . كالعهد به كاتباً من أقدر وألمع وأذكى كتابنا الصحفيين .
- وقد هيأ له عمله الصحفى أن يكون شاهد عيان على مسرح الأحداث فيراها عارية.. ويحيط بالخفايا والأسرار فى مؤامرات الملك السابق وألاعيب السفارة البريطانية والمواقف التى عجزت الوزارات الأربع المتتالية عن مواجهتها .
- وسجل ذلك كله ساعة بساعة . . واضعاً النقط فوق الحروف فى كل حدث من أحداث تلك الفترة الدقيقة من حياتنا السياسية . . فأبان كيف أنه لم يك ثمة حل أو مخرج إلا ان تقوم الثورة !

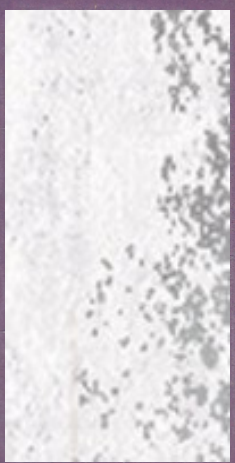

الثمن ٣٠

المعارف
محمد

إهـــــــداء ٢٠٠٩

المرحوم الدكتور/ محمد فتحي أحمد محمد سيد

جمهورية مصر العربية

قصة ملك
و ٤ وزارات

موسى صبري

قصة ملك
و ٤ وزارات

الناشر
دار القلم

الإهـــداء

. . إلى على أمين

الذى سأعيش عمـرى أخشى غضبة عينيه إذا شعرت أنى مقصر فى عملى الصحفى . . قريباً منه أو بعيداً عنه . .

. . وإلى مصطفى أمين

الذى علمنى كيف أجرى وراء الخبر الصحفى ، وكيف يرتفع الصحفى إلى مستوى الأحداث ، وكيف نعرف الكثير ولا ننشر إلا القليل . .

موسى صبرى

هذه السطور... لمن ؟..

« قليل من النقط فوق كثير من
الحروف التى كتبت حياتنا السياسية »

هذا الكتاب ليس تاريخاً لفترة سياسية من حياة مصر ..

إن الصحفى لا يقوم بدور المؤرخ فيما يسجل من الأحداث التى يعيشها .

إنه يقوم بدور عدسة التصوير الدقيقة التى تلتقط الجزئيات الصغيرة الخفية على العين المجردة .

ووسيلته هى الاتصال بالناس . من يصنعون الأحداث . ومن يتأثرون بهذه الأحداث .

والأحداث لا يمكن أن تنفصل عن صناعها . . عن طبيعتهم

وعقائدهم الشخصية ، والشعارات التى يعملون بها أو من أجلها .

ومن الغوص فى نفوس الأشخاص ، يمكن أن نفسر الأحداث التى يصنعونها أو تصنعهم . .

ومن التقاط الجزئيات المختفية وراء مظاهر الأحداث ، يمكن أن نعرف حقيقة معدنها .

هل هى أصيلة أم زائفة . براقة أم خادعة الأضواء . صلبة أم هشة . .

ومن هنا يمكن القول ، إن ما جمعته صفحات هذا الكتاب . هو تحقيق صحفى ، يستطيع أن يجد له ركنا صغيراً جدا فى مكتبة التاريخ السياسى ، ولكنه لا يصنع تاريخاً . فليس فيه شمول التاريخ الذى يكشف الأستار عن كل جوانب الأحداث ، ويربط بين مقدماتها ونتائجها . ويتابع التطور من مختلف نواحيه ، ويقدم صورة كاملة الزوايا والظلال . .

هذا التحقيق هو قليل من النقط ، على كثير من الحروف التى كتبت حياتنا السياسية فى السنوات القليلة التى سبقت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وقد اعتمدت فى تسجيله على الحركة الشخصية ، كشاهد عيان لبعض الأحداث . . كمستمع لتفسيرها من أبطالها . وربما أخطأنى

النظر . وربما خدعنى السمع . ولكننى حاولت أن أكون أمينا فى التسجيل .

والحياة فى الأحداث ، تدفع الإنسان إلى التأمل ، والخلوص من تأملاته بفكرة عن هذه الأحداث . وربما اختلفت الفكرة ، مع منطق قليل أو كثير من الناس . فهذه هى طبيعة الحياة فى مجتمع عماده اختلاف الرأى والتفكير . . ولكن المهم أن تكون أفكارنا نابعة من اقتناعنا ، سيدة لشهواتنا لا أسيرة لها .

وقد بدأت حياتى الصحفية منذ عشرين عاما بالعمل فى صحف حزبية ، لا لأننى كنت حزبياً ، ولكن لأننى لم أجد فرصة للعمل الصحفى فى غير هذه الصحف . . ثم انسلخت منها إلى صحافة حرة مستقلة . وأتاح لى عملى أن أعاصر أياما عصيبة دفعت التطور دفعته الحتمية نحو حياة أفضل . فكانت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . واستقبلها الشعب الكادح بعاطفة صادقة .

وتطور الوقت . وجرت الأحداث . وعرف الشعب أنها ليست انقلابا تتغير فيه وجوه الحكام . ولكنها ثورة تغيير شاملة فى جذور المجتمع . .

وأرى اليوم من واجبى وقد عشت أحداث الثورة ، منفعلا بها بعاطفتى ووجدانى ، معانيا إياها بفكرى ، منغمسا معها

فى تجربة الخطأ والصواب . . أرى من واجبى أن أقدم هذا التحقيق الصحفى بالصورة التى تشكل رباطا بين سنوات ما قبل الثورة وما بعدها ... هدية منى ...

. . إلى الإخوة من شباب هذا البلد الذين خاضوا غمار الحياة السياسية فى السنوات العشر التى سبقت الثورة بعيدا عن الأحزاب السياسية ، تائهين ضائعين فى بحثهم عن وسيلة للخلاص .

أهديه إليهم . .

. . تعبيرا عن تجربة شخصية . . كانت تؤرقها الحيرة دائماً ، وهى تتساءل .. من يكون المنقذ ؟ .. وكيف ؟ ومتى ؟ . .

موسى صبرى

كيف احترقت القاهرة ؟

كنت استعذب الحديث مع المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل رئيس حزب الأحرار الدستوريين . ورئيس مجلس الشيوخ. والوزير لأكثر من مرة . .

فقد كان المرحوم الدكتور هيكل ، يشكل فى نظرى مجموعة غريبة من الألوان . .

فهو رئيس الحزب الوحيد الذى كان رائدا فكريا لغير أعضاء حزبه . فهو كاتب . ومؤرخ . وأديب لامع . ومعلم واسع الثقافة ... وصاحب قلم صحفى له صولات فى جريدة السياسة فى قمة أضوائها . . ومع ذلك فقد كان أعضاء حزب الأحرار يشكلون طبقة من أبناء البيوتات اعتمدت فى نفوذها السياسى على ما تملك من ألقاب

وضياع . . ومع ذلك فقد كانت صحيفة حزبه فى سنواتها الأخيرة من أضعف الصحف التى ماتت بالسم البطىء ، وكنا نسخر منها بالنكتة المشهورة « لقد ضبط البوليس اليوم مواطنا متلبسا بقراءة جريدة السياسة » . . ومع ذلك فلم تكن ثقافة الدكتور هيكل وقراءاته العميقة فى التاريخ ، وحياة العظماء الذين صنعوا التاريخ ، لتثمر فى تجميع أفكار تقدمية يمكن أن تحدد مبادىء وشعارات جديدة للحزب الذى يرأسه . .

وفى هذا ناقشته أكثر من مرة . .

لماذا لا تخلق طبقة جديدة من الشباب الواعى فى حزبك ؟ . .

لماذا لا تنادى بشعارات للإصلاح ، تصلح أساسا لبرنامج مدروس للتطور فى عشر سنوات مثلا ؟ . .

لماذا لا تفيض من ثقافتك على حزبك وأعضائه ومبادئه ؟ . .

وكان الرجل يستقبل حماستى . . بضحكات هادئة فيها احترام للحماسة نفسها . . وفيها سخرية بها . .

كان يتصور أننى أحلم بالمستحيل . .

وكان يقول « إسمع منى يا ولدى هذه العبارة وتذكرها جيدا وأنت تفكر فى المستقبل .

هناك سلطتان فى مصر ، لن يتم أى إصلاح حقيقى فى البلاد

دون التخلص منهما . . الإنجليز والقصر . وما دام هذا مستحيلاً فلا سبيل إلى جديد » .

وكنت أجادله . وكنت أقول له . . لا بد من تغيير أسلوبنا الحزبى أولا حتى نقضى على الإنجليز ، وحتى نتخلص من نفوذ القصر . وإذا لم يكن لحزب الأحرار مبادىء وبرامج إصلاحية يدافع عنها . . فكيف يثبت وجوده فى المعركة ؟ . . وإذا لم تتكون قيادات جديدة واعية . . فكيف يمكن أن يحقق الحزب أى إصلاح إذا وصل إلى الحكم ؟ . .

وكان الدكتور محمد حسين هيكل يائسا من هذه الهلوسة . . وكان كل اهتمامه منصرفا إلى التكتيك السياسى الذى يصل به حزب الأحرار إلى الحكم، وإلى حل الخلافات بين كبار أعضاء الحزب من الباشوات وأصحاب الضياع ، وإلى ترتيب اشتراكهم فى الوزارة حسب الأقدمية ، وبالطريقة التى لا تفتت الوحدة الحزبية . .

كان يرى أن هذه هى السياسة الواقعية . . حارب على قدر ما تملك من أسلحة . . وما دامت أسلحتى هى هؤلاء الباشوات والأثرياء ، فيجب أن أحارب بهم فى الانتخابات وفى المعارك السياسية وفى المناورات الحزبية . .

وهذه الروح الحزبية التى سيطرت على الحياة السياسية فى مصر ،

كانت تضيع من أثر أو من خلال المواقف الوطنية التى تتخذها بعض القيادات الحزبية فى مناسبات مختلفة .

فليس من شك أن الدكتور محمد حسين هيكل (رئيس مجلس الشيوخ) اتخذ موقفا وطنيا عندما أدرج الاستجواب المقدم من الأستاذ مصطفى مرعى المحامى عضو مجلس الشيوخ عن الأسلحة الفاسدة . . وأتاح له الفرصة كاملة أن يشرح استجوابه بأسلوبه الثائر ووقائعه الدامغة الملتهبة . . وكان فى الاستجواب اتهامات خطيرة ، لرجال الحكم ورجال القصر ، لم تنقصها الصراحة الجريئة . . مما دعا فؤاد سراج الدين وزير الداخلية ، عند رده باسم الحكومة ، أن يهدد الدكتور هيكل بإقالته من رياسة مجلس الشيوخ وقال فؤاد سراج الدين فى ذلك الوقت كلمته المشهورة « إننى أشعر أن كرسى رياسة هذا المجلس يهتز اهتزازا عنيفا » . . وفعلا تحقق التهديد ، وعين زكى العرابى رئيسا للمجلس . . كان إطلاق هذا الاستجواب كالصاروخ عملا وطنيا . .

ولكن الحزبية جعلت منه مناورة حزبية . . وكان ما رددته حجج الوفد فى ذلك الوقت أن الدكتور هيكل ، يئس من الوصول إلى رياسة الوزارة بعد حياته السياسية الطويلة . . .

وإنه وجد فى استجواب مصطفى مرعى فرصة لرفع شعار شحشون « على . . وعلى أعدائى » .

. . . إننى أتلمس الدخول إلى موضوع هذا الكتاب ، بهذه القصة التى تلقى الضوء على جذور الوضع السياسى فى مصر فى السنوات القليلة التى سبقت ثورة ٢٣ يوليو . .

عاد الوفد إلى الحكم فى يناير سنة ١٩٥٠ ، إثر انتخابات أجراها الدكتور محمد هاشم وزير الداخلية فى وزارة حسين سرى الذى لم يكن يخفى ميوله ضد الوفد . . وكان اتفاق حسين سرى مع القصر على إخراج نتائج انتخابية تحقق الموازنة بين الأحزاب جميعها . .

وبذلك يتخلص القصر من سيطرة الوفد كحزب الغالبية . . ولا أحد يعلم حتى الآن كيف انتهت الانتخابات إلى غالبية وفدية . .

هل تم ذلك تنفيذاً لسياسة متفق عليها بين الوفد والدكتور محمد هاشم ؟ . .

هل فلت الزمام من سيطرة وزارة الداخلية على الانتخابات فتعذر الاتفاق المعقود بين حسين سرى والقصر ؟ . .

هل كانت هذه الانتخابات تعبيراً شعبياً عن رغبة الجماهير فى عودة حزب الوفد إلى الحكم بعد أن يئس من حكومات الأقليات التى كانت حليفة للقصر . . ؟ . .

أغلب الظن . أن التساؤل الأخير هو الصحيح . .

ولكن ماذا كان موقف حزب الوفد من القصر ؟ . .

جاء حزب الوفد إلى الحكم ، لينتقم لنفسه من إبعاده عن السلطان والنفوذ . . . وأراد أن يسد الطريق تماماً على أحزاب الأقلية . فقرر أن يحكم إلى الأبد . . قرر أن يتجنب الإقالات والمناورات من القصر وحلفائه من أحزاب الأقلية . . فداس الوفد شعاره التقليدى « الأمة مصدر السلطات » شعاره الذى حماه ودعمه سعد زغلول منذ أول وزارة بعد إعلان الدستور . وأعلن الوفد اعترافه كاملا بأن الملك هو مصدر السلطات . . وجاءت الوزارة الجديدة ، لتعلن هدنة شاملة بلا قيد أوشرط مع فاروق .

وكان منطق الوفد فى هذه الهدنة ، أنه لم يحكم طوال المرحلة الدستورية ما يمكن جمعه فى أشهر قليلة ، على الرغم من أنه صاحب الغالبية الشعبية . . وكان يطرد من الحكم بالإقالة . فلماذا لا يتجنب هذه المرة ، علة الطرد والإقالة ؟ . . ولماذا لا يستمر وقتاً طويلا يجمع فيه مزيداً من الأنصار الذين يفتتهم البعد عن الحكم ، والاضطهاد من الأحزاب الحاكمة الأخرى ، وعدم قضاء مصالحهم الذاتية ومصالح ناخبيهم ؟ . . ولماذا لا يلين الوفد ويتخلى عن مواقف الصلابة التى تحدث الجفوة بين فاروق ومصطفى النحاس ؟ .

وقد أعلنت هذه الهدنة فى أول لقاء بين مصطفى النحاس وفاروق بعد تكليفه بتأليف الوزارة . . وأعان النحاس الطاعة الكاملة والولاء التام . . وأراد أن يؤكد لفاروق أن صراع الماضى

بين الوفد ممثلا للسلطة الشعبية . . وبين القصر ، قد انتهى إلى غير رجعة .

ويبدو أن أصحاب هذه الفكرة . . هم النجوم الجديدة فى حزب الوفد ، التى أرادت أن تمهد لنفسها مستقبلا سياسياً مستقراً . . وتركزت كل الأضواء على فؤاد سراج الدين ، كرائد للهدنة بين الوفد والقصر . .

وكان لهذه الهدنة ثمنها الضخم . .

فاروق يريد أن يسرق . وحاشية فاروق تريد أن تسرق . .

وإذا أرادت الحكومة أن تغمض العين عن سرقات فاروق ، فلا بد أن تغمض العين أيضاً عن سرقات رجال الحاشية الذين يؤثرون على مزاج فاروق بالرضا والغضب .

ومادام القصر وحاشيته يسرقون . .

فلم لا يسرق أيضاً من يمثلون حاشية الحكومة أيضاً ؟ . .

ومن هنا نبت حلف جديد عن الهدنة . . هو حلف استغلال النفوذ المشترك . .

وقد كسب الوفد شعبيته ، لأنه الحزب الذى عبر عن عقيدة الجماهير فى الاستقلال . . لأنه القوة الوحيدة التى يمكن أن تستخلص حقوق البلاد من الإنجليز . . صحيح أن النقراشى أطلق

الصيحة الشجاعة ضد الإنجليز فى الأمم المتحدة . . وعاد إلى مصر لتستقبله الجماهير استقبالا حافلا . ولكنه لم يشأ أن يترك الحكم . . ليعطى الفرصة لقوى متحدة تستطيع أن تواجه الإنجليز . . ودخلت المزايدات الحزبية ، وأراد الوفد أن يشوه خطوة النقراشى . . وماع الموقف . . وانتصر الإنجليز . وتعثرت كل المفاوضات معهم بعد ذلك . .

والوفد ، وإن تخلى عن شعار الصمود الدستورى أمام القصر ، فإنه لا يستطيع أن يتخلى عن شعار الكفاح من أجل الاستقلال التام . . والوفد أيضاً ، وإن أراد أن يتفادى الأزمات مع القصر ، فإنه لا يريد أن يعجل بأزمات مع الإنجليز . . وهو يمهد لنفسه حكماً أبدياً . .

لذلك كان لا بد من الاتصالات التحتية ، ومن الاعتماد على أصدقاء الإنجليز . .

ومن هنا ولد حلف جديد . . هو حلف الاتصالات غير المباشرة مع لندن . . وكان الحلفاء هنا أكثر من شخص فى مقدمتهم أحمد عبود . ولم تكن هذه التيارات الخفية ، مكشوفة لجميع الوزراء الذين تنابذوا إلى أحزاب وجبهات متعددة داخل الحزب الواحد . . فكانت جبهة حامد زكى وزكى عبد المتعال . .

وكانت جبهة الدكتور محمد صلاح الدين . . وكانت جبهة الدكتور أحمد حسين . . وكانت جبهة فؤاد سراج الدين التى حاولت الانتصار على كل الجبهات . .

وعمل حلف استغلال النفوذ المشترك فى نشاط متلهف على تعجل الكسب الحرام . .

واتسع نطاقه . .

وكان أول متمرد هو الدكتور أحمد حسين وزير الشئون الاجتماعية الذى استقال ، وتبعه عباس عمار وكيل الوزارة . ثم مراد فهمى وكيلها الثانى . . وشن أحمد حسين حملة عنيفة ضد الفساد . وكانت استقالته الجريئة هى وقود هذه الحملة . . وفشلت كل المحاولات التى تدخل فيها مصطفى النحاس لكى يعدل عن هذا الموقف . . وأطلق عليه حامد زكى لقب الوزير الأحمر لأنه طالب بالضرائب التصاعدية ووضع حد أدنى للأجور .. إلى آخر مشروعات الدكتور أحمد حسين التى كان يرى فيها ضماناً ضد انتشار الشيوعية .

وأسجل هنا لأول مرة أن الدكتور أحمد حسين هو الذى ساعدنى مساعدة فعالة ، فى سبيل الكشف عن فضيحة من أكبر فضائح فساد الحكم فى ذلك الوقت . . وهى « توزيع أراضى الدولة على أفراد أسرة الوكيل بسيداتها وأطفالها » . . وقد استمر جهدى

للوصول إلى وثائق هذه الفضيحة أكثر من أربعة أشهر متصلة ، حتى حصلت على كشوفات كاملة ، بجميع الأسماء ، وجميع المساحات التى وزعت على أفراد الأسرة . . وكان الدكتور أحمد حسين — بعد استقالته — صاحب الفضل الأول فى تعريفى بمصدر هذه الوثائق . . .

وقد نشرت القصة فى « أخبار اليوم » وأحدثت أكبر دوى استمر لبضعة أشهر ، واجتمع الوزراء فى جناح مصطفى النحاس بسان استيفانو ، للرد على هذه الفضيحة ، واستمر اجتماعهم حتى الساعة الثالثة صباحا ، وأمر فؤاد سراج الدين بتأخير قطار الصحافة ، لكى تستطيع صحيفة «المصرى» نشر رد الحكومة . وكان ردا هزيلا فيه اعتراف كامل بالفضيحة .

وتمرد عبد الفتاح الطويل وزير العدل على تدخل القصر . وقدم استقالته . واختفى فى مريوط . ولكنه التزم موقفاً سلبياً . واستطاع مصطفى النحاس أن يسوى الأزمة مع القصر . . وكان سعيداً بذلك كل السعادة . .

وشاعت كل هذه القصص . . وعشرات من وقائع استغلال النفوذ . . وطالب الرأى العام « بقانون من أين لك هذا ؟» . . وثارت أكبر ضجة قادها المرحوم النائب عزيز فهمى ، ضد قانون أخبار القصر ، الذى قدمه النائب أسطفان باسيلى ، بفرض

الرقابة على أخبار الأسرة المالكة بحيث لا تنشر إلا بإذن من القصر . . ولعبت صحف دار أخبار اليوم دوراً كبيراً مجيداً فى كشف أستار الفساد .. والاتصالات التحتية .. وطلب على أمين من قيادات الأقلية أن تحتج لدى القصر على تدخل الوسطاء وغير المسئولين فى الحكم واستطاع أن يقنعهم بعد جهد بكتابة هذا الاحتجاج . . وتعثرت العلاقات بين القصر والوفد . . ولم تصل المفاوضات مع الإنجليز إلى أية نتيجة . . وأراد الوفد أن يخرج من كل هذه الهزائم بانتصار شعبى يجمع حوله الجماهير ، ويحرج القصر ، ويسكت أحزاب الأقلية . . فقرر إعلان إلغاء معاهدة ١٩٣٦ . . وخلال هذه الأحداث تزوج فاروق من ناريمان . . ولكن فضائحه لم تنقطع . . ثم أنجب وليا للعهد . . وكانت هدايا البرلمان والهيئات إلى فاروق ، تمثل رشوة مفضوحة . .

ثم وقع حريق القاهرة ... فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ .

وأعود الآن . . بعد هذا العرض الصحفى السريع . . إلى كلمة الدكتور حسين هيكل « العقبة الحقيقية أمام أى تفكير فى الإصلاح هى القصر والإنجليز . . »

لقد باع الوفد تاريخه الطويل ليكسب القصر .. ولم يستطع وهو مهلهل السمعة بسبب فساد الحكم أن ينتصر على الإنجليز . . وخسر المعركتين . .

لماذا ؟ . .

إن المحور الذى كانت تدور حوله كل أحداث الحكم وكسب الحقوق من الإنجليز . . لم يكن محور المصالح الحقيقية للجماهير . .

صحيح أن المعركة الخارجية . . كانت تتطلب وحدة كل القوى الداخلية . . ولكن تناقض المصالح الذاتية بين هذه القوى فتت جبهتها . .

كانت القوى الداخلية فى ذلك الوقت تتشكل من العائلات الإقطاعية .. ومن أصحاب رؤوس الأموال .. ومن الشباب الواعى .

وكان لكثير من هذه العائلات ماض فى الكفاح فى سبيل الاستقلال . . ثم تطور بها الأمر — بعد أن أصبح تعاقب الأحزاب على الحكم ، هو منوال الأمور — إلى أن أظهرت استعداداً للتساهل فى القضية الوطنية فى مقابل ضمان الانتفاع من الحكم الذى يقيم لها الجسور ويروى أرضها ويقدم أبناءها إلى المناصب الممتازة ويعطى لها الامتيازات . وأما أصحاب رؤوس الأموال فقد كان هدفهم الأول حماية مصالحهم . وطريق ذلك هو التعاون دائما مع القوى صاحبة السلطان . وهذه هى طبيعة رأس المال .

أما الشباب الواعى فقد تنازعته الحيرة . . الشباب الذى احتفظ بنظافته لم يستطع أن يحتفظ بحزبيته . . والشباب الذى يئس من

الحزبية وبدأ يتلمس شعارات جديدة تعطيه أملا . . تعثر بين جماعة الإخوان المسلمين التى اعتمدت على التأثير الروحى فجذبت إليها آلاف القلوب البريئة . ثم طورت دعوتها إلى العنف وسفك الدماء . وبدأت تكشف النقاب عن أفكارها الرجعية . . فأصبحت تمثل قوة مخيفة تنشر الذعر فى البلاد . . فتعثر الشباب بين هذه الجماعة وبين جماعة الحزب الوطنى التى ضعف كيانها . . إلى حد الهزال الشديد وأصبحت تعبر عن مثاليات حبيسة بين أربعة جدران . . وبين جماعة أحمد حسين التى فقد رئيسها كثيراً من نفوذه العقائدى ؛ بعد أن بقيت حوله حفنة قليلة صامدة أمام الاضطهاد من جميع الحكومات . . وكانت حوادث الاغتيالات فى العشر سنوات التى سبقت ثورة يوليو ١٩٥٢ تمثل هذه الحيرة التى تخبط فيها الشباب النظيف بحثاً عن المثل الأعلى الذى افتقده . .

أما الطبقة المحرومة . . الفلاحون والعمال . . فكان لها موقف آخر . .

الفلاحون الذين كتبوا تاريخاً مجيداً فى الكفاح ضد الغزو الأجنبى الإنجليزى والفرنسى . . وضد حكم الأتراك . . وفى ثورة ١٩١٩ . . وراح منهم عشرات الألوف من الضحايا . . وعودة عاجلة إلى تأريخ الجبرتى للحملة الفرنسية تعطينا صورة كاملة لجلال هذا الكفاح . الفلاحون لم يعد أحد يهتم بأمرهم ، بعد أن جعل

منهم الانحراف السياسى إدارة يسخرها كبار الملاك والإقطاعيون لفرض نفوذهم السياسى . . وحاول « الإخوان المسلمون » أن ينتشروا بين الفلاحين لنشر دعوتهم ودعم سلطانهم . . وكانت لهم بعض الانتصارات الجزئية فى هذا السبيل . . واقتصرت مشروعات الإصلاح بالنسبة للفلاحين فى مختلف الحكومات على إصلاحات بطيئة سارت كالسلحفاة . .

أما العمال . . فقد بدأوا يتنبهون إلى جمع شتاتهم كطبقة يجب أن تعرف حقوقها ويجب أن تحصل عليها . . وكانوا لا يشكلون قوة تستطيع أن تفرض نفسها . . فلجأوا إلى أصحاب القوى الحقيقية للحصول من خلالهم على حقوقهم . . ومن هنا يمكن أن نفهم لماذا احتمى بعضهم بعباس حليم . . ولماذا احتمى بعضهم بفؤاد سراج الدين . .

وحاولت الشيوعية أن تنفذ إلى العمال . . فبثت دعاتها بينهم . . واستطاعت أن توجد بعض التنظيمات التى كانت تتعقبها الحكومات المختلفة بعين مفتوحة . . وبيد قاسية . .

وكان يشرف على الشيوعية بين العمال ، صفوة من الشباب المثقف الذى رأى فى المذهب الشيوعى وسيلة للخلاص . . وعدد من الانتهازيين .. وعدد من اليهود ..

وكانت جهودهم التحتية متفرقة . . وتعددت شعباتهم المتصارعة التى كانت تتبادل الاتهام بالخيانة . .

وهكذا نرى الوضع .

الشباب المتعلم . . افتقد القيادة الفكرية التى يؤمن بها . . أو وجد قيادة مضللة أو تعددت قياداته واختلفت .

الفلاحون . . تراكم عليهم الإهمال . ونما فى نفوسهم الشعور باليأس وعدم الثقة . .

العمال . . تلمسوا طريق الوصول إلى حقوقهم لدى أصحاب النفوذ .

ولم يكن الحكم ليحتمى إلا بالإقطاع ورأس المال .

وكان مستحيلا أن يحارب الإقطاع ورأس المال فى المعركة الخارجية . وهو يسعى للوصول إلى مصالحه عن طريق تعاقب الأحزاب والانتفاع بفساد الحكم . .

وهنا نسأل . . ماذا كان دور الصحافة كقيادة رأى وتوعية بحقوق الجماهير ؟ . .

ماذا كان نصيبها فى ذلك الصراع ؟ .

كان لدينا ثلاثة أنواع من الصحافة .

صحافة حزبية . يتدرج فى نطاقها صحافة ملكية تعبر عن مصالح القصر .

صحافة مستقلة سلبية .

صحافة مستقلة إيجابية . اعتمدت فى رواجها على الفن الصحفى الحديث .

وكان للصحافة الحزبية نفوذها . وكان لها قراؤها . ولكن العراك الحزبى تطور بها حتى أصبحت أبواقاً تردد ما تؤمر به . فالحزب هو الذى يصرف عليها . والحزب هو الذى يدفع مرتبات محرريها . وحاولت صحيفة « المصرى » أن تتحرر من هذا السلطان ، متخذة مظهر الاستقلال سبيلا للنفوذ إلى عاطفة قرائها .

وقد أدت هذ الصحافة دوراً فعالا . حينما كانت تخدم قضية عامة يتبناها الحزب .

أما الصحافة المستقلة السلبية . فقد كانت تقوم بدور المتفرج المحايد . صديق كل الأطراف . واعتمدت فى انتشارها على الطباعة الأنيقة واعتدال الأسلوب . ودقة الأخبار والتحقيقات الإعلانية . وكانت حريصة على مصالح رواجها دون اهتمام أصيل بمعالجة القضايا العامة برأى صريح يتخذ موقفاً إيجابياً .

ثم ولدت فى عام ١٩٤٣ صحافة « أخبار اليوم » صحافة مستقلة إيجابية تعتمد فى رواجها على الفن الصحفى الحديث . وغلب عليها طابع الصحافة من أجل الصحافة . ولكنها اتخذت موقفاً إيجابياً

عنيفاً مثيراً ضد الفساد بأسلوب صحفى جديد على الشعب . فأقبل عليها . وتأثر بها . وأحبها وغضب عليها . . وقد مثلت أخبار اليوم مدرسة الخبر الصحفى وخرجت من النطاق المحلى إلى نطاق معالجة المشكلات العالمية . وكانت تؤيد القصر ضد حزب الوفد فى أول سنوات صدورها . ولما فقدت الأمل فى صلاح الملك . وتحقق حلف القصر والوفد حاربت الجبهتين . والدور الذى لعبته أخبار اليوم فى محاربة القصر والوفد وراء السطور المكتوبة أقوى كثيراً من دورها المطبوع على صفحاتها . وقد وقفت أخبار اليوم إلى جانب الاغتيال السياسى وأسهمت فى إنقاذ رقبة حسين توفيق الذى قتل أمين عثمان . ولكنها وقفت ضد أعمال الإرهاب والاغتيالات التى قامت بها جماعة « الإخوان المسلمون » ودافعت عن حق المرأة فى التعليم والوظائف العامة ومباشرة حقوقها السياسية . وحاربت الرشوة والمحسوبية بلا هوادة . وكان منطقها فى محاربة الإنجليز « خذ منهم ما تستطيع ثم حارب من جديد » واتخذت موقفاً معادياً للشيوعية فى وضوح وقوة . ونادت بالإصلاح . ولكنها كصحافة مستقلة ، لم تحدد لقرائها رسالة مدروسة تشكل تطوراً محدد الأهداف . لقد أفادت البلاد فى خلق جيل صحفى تعلم فى مدرستها الأسلوب الصحفى الحديث الذى يبنى صحافة ناجحة . ووضعت فى تاريخ الصحافة تقاليد راسخة فى الدفاع

عن حرية الصحافة وكرامة الصحفيين . ولعل صحافة أخبار اليوم كانت تمثل حيرة الشباب فى البحث عن بطل . وعبرت فى كثير من مقالاتها وتحقيقاتها عن هذا الأمل الذى تجمع حوله الناس .

وفى السنوات الأخيرة قبل الثورة . ظهرت صحيفة الحزب الوطنى وكان يحررها فتحى رضوان ونور الدين طراف ومصطفى مرعى وغيرهم. وصحيفة الحزب الاشتراكى وكان يحررها أحمد حسين وإبراهيم شكرى وإبراهيم الزيادى وحلمى الغندور وغيرهم. وارتفع توزيع صحيفة « الاشتراكية » رغم قلة مواردها ارتفاعاً ضخماً ، وخاصة بعد أن نشرت صور المتشردين والنائمين على الأرصفة وكتبت تحتها «هؤلاء رعاياك يا مولاى » وكانت تنادى بتحديد الملكية الزراعية وتدعو إلى التصنيع وفرض الضرائب التصاعدية وإطلاق الحريات . . ولم تلق صحيفة « الإخوان المسلمون » رواجاً شعبياً حتى قبل حل الجماعة بعد مصرع النقراشى. وكان الشبان التقدميون يرون فى روز اليوسف ميدانهم للتعبير عن الاتجاه اليسارى فى حدود القانون . وكان كتابها يبشرون بانتفاضات المستقبل . . وكان لتبنيها لقضية الأسلحة الفاسدة دوى مخيف فى قلعة الحكومة والقصر .

وهكذا نرى أن خطا واضحا لم يكن ليربط الرسالة الصحفية . وقد لمع كتاب كثيرون . كانوا يغرسون الأمل بالمستقبل . ولكننا

لا نستطيع أن نجزم بأن الثقة قد تدعمت كاملة بين القراء وكتاب الصحف . لقد أنارت الصحافة بعض الطريق . ولكنها كانت محكومة بظروف اقتصادية لا تستطيع الإفلات منها . فالصحافة الحزبية كانت تعتمد فى تمويلها على الحزب خارج الحكم وداخل الحكم . والصحافة المحايدة كانت تعتمد على مورد الإعلان وموارد أخرى غير منظورة ومرتبطة بمصالح أجنبية . والصحافة المستقلة الإيجابية لم تكن لتستطيع أن تغفل عنصر الإعلان كمورد يدعم بقاءها رغم توزيعها الكبير . والصحافة المتطرفة كان يحررها أصحاب الجيوب الخاوية .

ولذلك يمكن القول أن الصحافة أدت دوراً ، وقامت بواجب فى مرحلة ، ولكنها لم تواجه المشكلات الحقيقية الجذرية فى المجتمع المصرى مواجهة فعالة . وكان نصيب الفلاح والعامل فيها يكاد يكون معدوما . وكان أثر الصحافة الرائجة — ككل — على الجماهير ، إن هناك فسادا . وإن هناك ظلما اجتماعيا . هكذا بصورة عامة . دون أن تحدد الصحافة الصورة الجديدة للمجتمع التى يمكن أن تخلق وعيا بها ، يكافح من أجل الوصول إليها . هذا إذا استثنينا بعض النشرات الشيوعيـــة التى كانت سرعان ما تختفى بعد ظهورها .

* * *

فإذا عدنا مرة أخرى إلى كلمة الدكتور حسين هيكل . . فلنقل إن القصر والإنجليز لم يكونا العقبة الوحيدة . .

كانت هناك عقبة أخرى . . هى الخلل الاجتماعى . . الذى أعطى لطبقة واحدة — هى المتخمين من أصحاب الضياع ورؤوس الأموال وذيولهم — كل الحق فى أن يتخموا على حساب حرمان الغالبية المحرومة الضائعة . .

ولذلك لم يكن غريباً أن يأكل حريق ٢٦ يناير القاهرة .

إن التاريخ لم يكشف بعد عن اليد الفاعلة فى هذا الحريق . ومهما يكن من أمر الفاعل الحقيقى . فإن مؤامرة الحريق فى تنفيذها لم تكن لتتسع لأكثر من إشعال النار فى عدد من المبانى العامة . . ولكن الذى حدث أن جماهير رجل الشارع تجمعت دون قيادة ودون تنظيم أو اتفاق وانطلقت تحرق وتدمر باقى مبانى القاهرة الشامخة . لقد رأى المواطن المحروم فى انهيار هذه الأبنية تعبيراً طبيعياً عن شعوره بالظلم ضد من يحرمونه لقمة الخبز . ضد من يتخمون بطونهم وهو يشكو الجوع والحرمان . وفى ساعات قليلة ، أصبحت البنايات الكبرى فى القاهرة قطعة من النار . .

كان اندلاع الحريق . وانتقاله من بناء إلى بناء . ومن متجر إلى

متجر . ومن شركة أجنبية إلى شركة مصرية . . تنفيسا عن كل متاعب الجماهير فى نقمتها على الخلل الاجتماعى .

* * *

وابتداء من حريق القاهرة ، أسجل فى هـذا الـكتيب ، صفحات تحقيق عن تطور الوضع السياسى فى مصر ، حتى نجحت ثورة ٢٣ يوليو .

كيف تألفت وزارة على ماهر
يوم حريق القاهرة

كان المفروض أن يكلف نجيب الهلالى بتأليف الوزارة الجديدة يوم حريق القاهرة (٢٦ يناير ١٩٥٢) . وتأليف الوزارة الجديدة كان مرهونا بإقالة وزارة الوفد التى أعلنت الأحكام العرفية فى ذلك الوقت . ولم يكن رئيسها مصطفى النحاس يتوقع إقالته .

ولكن الملك عهد فجأة إلى على ماهر بتأليف الوزارة قبل أن يرسل مرسوم الإقالة إلى النحاس .

فماذا حدث ؟ . .

* * *

كانت القاهرة تحترق . . وكان فاروق يسير فى عصبية وغضب ذهابا وإيابا فى جناحه بقصر عابدين . الذعر يسود القصر . كل

حجرات القصر . ناريمان كانت تتوقع أن يمتد الحريق إلى القصر . كانت تسمع طلقات رصاص البوليس وهو يفرق الجماهير . كانت تحتضن ابنها فى فزع كلما سمعت رصاصة تطلق فى الهواء . الأميرالاى أحمد كامل رئيس حرس القصر أصبح مصدر الأخبار الوحيد . كل موظفى القصر يتصلون به بالتليفون يسألونه عن آخر الأخبار ، لينقلوها إلى الملك الهائج الخائف . إنه فى حالة رعب .

لقد دعا حافظ عفيفى رئيس الديوان الملكى وحسن يوسف وكيل الديوان والياس أندراوس صديقه الشخصى إلى اجتماع عاجل . .

وانطلق يتكلم بلا وعى . قال كعادته كلما وقع أى حادث . . « أنا كنت متأكد أن ده حيحصل . . أسألوا كريم . أنا قلت له . . يا حبيبى يا كريم الثورة على الأبواب . الزمام فلت . » .

ووقف أمام النافذة فجأة . وتطلع إلى النيران التى تحلق فى السماء . وقال فى صوت مرتفع :

— لازم وزارة جديدة . لازم وزارة جديدة . بس مين يقدر يؤلف وزارة فى الظرف الحاضر ؟ . . حيدر ؟

وصمت الحاضرون . .

وأجاب الملك على سؤاله :

— لا . . حيدر ما ينفعش . .

ثم نظر إلى حافظ عفيفى وقال له .

— وأنت ياحافظ مش عاوز تؤلف وزارة . . كلكم خايفين . . على ماهر هوه الوحيد اللى نفسه يؤلف الوزارة من عشر سنين . أيه رأيكم . .

وصمت الحاضرون . .

أن واحدا منهم لا يحب على ما هر ولا يثق فيه ، ولا يتمنى له أن يكون رئيسا للوزارة فى أى ظرف من الظروف . . ولو كانت وزارة انقاذ . .

وتنفسوا الصعداء عندما قال فاروق :

— على ما هر ما ينفعش . . ما استريحش لوشه . .

وهنا قال حافظ عفيفى :

— الأستاذ الهلالى مستعد لأن يؤلف الوزارة . .

فاروق فى عصبية :

— مين الأستاذ الهلالى ده ؟

حسن يوسف — نجيب باشا الهلالى . .

فاروق — ما تقولوا نجيب باشا الهلالى . أنا ما اعرفش أن اسمه الأستاذ الهلالى .

ويتجه فاروق إلى النافذة مرة أخرى وكأنه يقفز إليها . . ويخيفه مشهد النيران ثم يقول :

— أبويا كان حظه أحسن منى . . على أيامه كان فيه عشرات يصلحوا لتأليف الوزارات . .

ويصمت لحظة ويقول :

وأنا دلوقتى مش لاقى حد . .

وكانت النار قد أكلت كل شىء فى القاهرة . . وبدت المدينة كميدان قتال لجيش مهزوم بعد المعركة . . لم تبق إلا الأنات والصرخات الحبيسة . وقطرات الدماء . وحطام أم ثكلى فى قبر مهجور . جسد العاصمة يتلوى فى ألم عظيم . الدخان الأسود الكثيف ينطلق رهيبا من صدر ينتفض فى لحظاته الأخيرة . النار الحمراء ترقص ضاحكة بين الأطلال الباكية . .

وكانت الدموع منسابة فى الطرقات . وقد اختلط بها فتات المائدة العابثة . رماد . خشب أسود . متاع مبعثر تخلت عنه أيدى الناهبين والسارقين . .

وسكبت مضخات الحريق كل ما فى أعماقها من دموع . ولكن القلب . قلب القاهرة . . كان لا يزال يحترق .

وخرج حافظ عفيفى من الاجتماع الملكى ليذهب إلى نجيب الهلالى .

وعندما كان يركب سيارته عند باب القصر . وجد أن الياس أندراوس لحقه وسأله :

— أنت رايح المعادى عند نجيب الهلالى . .

— نعم .

— هل تعرف منزله ؟

— لا سأسأل . .

— هل تسمح لى بالمجىء معك . .

وقبل أن يجيب حافظ عفيفى كان أندراوس يفتح باب سيارة حافظ عفيفى ويقول له :

— اتفضل يا باشا . .

وفى أقل من ساعة ، عاد حافظ عفيفى وأندراوس إلى قصر عابدين . وكان مؤتمر القصر لا يزال مجتمعا . . الملك وحسن يوسف وانضم إليهما عدد من رجال الحاشية . .

قال حافظ عفيفى :

— لقد أيقظت الهلالى من النوم . ونزل بالروب وعلى رأسه طرطور أحمر . ولقد دهشت عندما اعتذر عن عدم تأليف الوزارة.. لقد رشح على ماهر لرياسة الوزارة بدلا منه . . وأثنى على كفاءة على ماهر لمواجهة الموقف . . وقال إن على ماهر اجتمع به منذ أسبوعين أو أكثر . . وأراؤهما متفقة . .

وصمت حافظ عفيفى ثم قال :

— ولكنى فى دهشة من سر رفض نجيب الهلالى . المعلومات التى عندى كانت تؤكد أنه سيقبل .

وقال فاروق فى يأس :

— طيب خلاص . . كلموا على ماهر بقى . .

قطيعة ١٠ سنوات

وغادر حافظ عفيفى قصر عابدين مرة أخرى . وقابل على ماهر فى عوامته بالزمالك وعرض عليه تأليف الوزارة الجديدة .

وكان على ماهر يتوقع هذا العرض . .

إن بعض وسطاء القصر كانوا يسعون لوصل القطيعة بينه وبين الملك التى استمرت عشر سنوات . وكان القصر يبحث عن رئيس وزارة فى الأسابيع الأخيرة لحكومة مصطفى النحاس. وكان وسطاء

على ماهر يمهدون له على أساس أنه أصلح رجل لإنقاذ الموقف وأنه على روابط طيبة بجميع الهيئات . ولكن نجيب الهلالى كان هو الجواد الرابح . . واستقر الرأى — قبل حريق القاهرة — على أن يكون على ماهر هو « ستين » للموقف بحيث إذا فرقعت « جميع الكاوتشات » استعين به للسير بالسيارة حتى تصلح باقى العجلات .

ولهذا تمت بعض الاتصالات مع على ماهر من جانب الساعين إلى تمكينه من الحكم . ولم يصارحوا على ماهر بشىء واضح . ولكنهم تركوا أمامه الباب « مواربا » . . وفى ظل هذا الشك استعد على ماهر لمواجهة الموقف . فعرض بنفس الأسلوب . . أسلوب الباب « المواربه » على بعض الأشخاص التعاون معه . واستمع إلى آراء كثيرين حتى أنه قابل ممثلين عن حركة الكتائب فى الشرقية هما عبد الحميد صادق ومدحت عاصم اللذان شرحا له تفصيلات معركة الكتائب وقدما له صورة عن الموقف .

وسألهما على ماهر عن عدد المشتركين فى الكتائب من الحزب الاشتراكى . فأجاباه أنهم لايتجاوزون أصابع اليدين وأنهم يخلعون فى تطوعهم رداء حزبيتهم وأن رئيسهم أحمد حسين أبدى أطيب روح واستعداد للتعاون مع الكتائب قائلا لهم : خذونى معكم كأى مجاهد مصرى بين الصفوف . .

ثم سألهما على ماهر : هل يمكن وقف أعمال الكتائب . ولو فترة قصيرة من الوقت إذا دعت إلى ذلك مصلحة الوطن ؟

وطلبا تفسيراً لهذا السؤال .

فقال على ماهر : إن المتحاربين فى كوريا .. هذه الحرب التى تشترك فيها جيوش الأمم المتحدة ، كثيراً ما يعلنون الهدنة ويوقفون القتال فى بعض المناطق للوصول إلى حلول . فإذا لم يتفقوا على حل . قطعوا الهدنة وتابعوا القتال .. فليس الهدف هو سفك دماء فقط . بل الوصول إلى حل . .

وقال ممثلا الكتائب : نؤكد لرفعتك . وثقتنا فى وطنيتك لا حد لها ، إننا على استعداد لهذه الهدنة ، إذا رأيت فى المستقبل أن المسئولية عن صالح البلاد تقتضى ذلك . فقال على ماهر : إننى أقول لفترة قصيرة مؤقتة ، بحيث إذا لم تجب مطالب البلاد عدنا إلى حرب الكتائب ، حربا منظمة قوية تؤتى نتائجها[1] . .

---

(١) بعد أسبوع واحد من اجتماع على ماهر بممثلى الكتائب ، تولى رياسة الوزارة ، ودعاهما إلى مكتبه برياسة مجلس الوزراء وحضر هذا الاجتماع بكباشى وجيه أباظة بصفته قائد كتائب الكفاح فى الشرقية والقنال .

وقال لى مدحت عاصم : « أن على ماهر نصحنا فى هذا الاجتماع بالتوقف فى هدنة ، فاشترطت أنا بإيحاء من والدنا الروحى وقائدنا العام الفريق عزيز المصرى :

وهكذا كان على ماهر مستعدا للحكم . . بعد قطيعة استمرت عشر سنوات بينه وبين فاروق .

معاملة فاروق لعلى ماهر

وكان فاروق يعامل على ماهر معاملة شاذة قاسية ، تنافى أبسط مبادىء الذوق والتقدير لرجل أشرف على تنصيبه ملكا ، وأشرف على صنعه كملك . وله تاريخه الحافل . . ومع ذلك فإن على ماهر لم يكن يتكلم فى مجالسه الخاصة ضد فاروق . كان يكتفى بالتعبير عن ألمه لمصير هذا الشاب .

وكان رجال القصر يتجاهلون كل قواعد البروتوكول ، ويدوسونها بأقدامهم عندما يدعى « صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا » رئيس الوزراء ورئيس الديوان السابق إلى أية حفلة

= ١ — أن تكون الهدنة لأجل محدود ، قدره على ماهر بثلاثة اشهر .

٢ — أن لايقبض على أحد من الفدائيين أو يصادر أى سلاح معهم .

وطلب وجيه أباظة أن تمد الحكومة الحركة سراً بالأسلحة والمعدات اللازمة وأن تطلق يد الكتائب بحرية فى المران والتدريب والاستعداد .

وقد أجاب على ماهر كل مطالبنا وقال بالحرف الواحد : « سأحاول أن أصل مع الإنجليز إلى تحقيق مطالب البلاد فإن أخفقت ورأيت أنهم يماطلون دعوتكم بنفسى إلى استئناف الكفاح ونزلت معكم إلى الميدان . ولما كيد لعلى ماهر بما اضطره إلى الاستقالة توجهت إليه بعد استقالته وأخبرته بعزمنا على استمرار الكفاح » .

ملكية أو حفلة يحضرها الملك . وكانوا فى بعض المناسبات يتعمدون دعوة بعض الأمراء حتى يسبقونه فى الجلوس إلى جوار فاروق .

وعندما دعا فاروق إلى حفلة شاى فى عام ١٩٥١ بمناسبة زواجه ، دخل على ماهر إلى حديقة قصر عابدين ولم يجد أحدا فى استقباله . ولم يجد لنفسه مكانا مناسبا ، فجلس إلى منضدة فى أقصى أطراف الحديقة التى امتلأت بألف وخمسمائة مدعو ، وكان لقبه يضعه فى المقعد المجاور لرئيس الوزراء ، على يسار الملك .

وكنت مرة على مائدة على ماهر بعد هذه الحفلة بزمن قصير . وسأله بعض الحاضرين : أهكذا يعامل رجل مثلك . ؟

فابتسم على ماهر وقال :

— لم أوضع فى مكانى الطبيعى فى الحفلات الملكية إلا ثلاث مرات . وكان ذلك سببا لدهشتى التى زالت بعد أن جلست إلى جوار الملك وعرفت المقصود .

المرة الأولى — ولا أذكر مناسبة الحفلة — وجدت مكانى إلى جوار فاروق . فإذا به يستدير ناحيتى ويسألنى « أيه حكاية الاجتماعات السياسية اللى فى القصر الأخضر ؟ » ففهمت أن المقصود من جلوسى هو هذا السؤال . وكنت قد دعوت إسماعيل صدقى وكريماته وأبنائه لقضاء يوم فى القصر الأخضر . فأجبت فاروق

« كانت زيارة عائلية ، فقد دعانى إسماعيل صدقى إلى تناول الغداء فى منزله . وطلبت منى كريماته أن يزرن القصر بعد أن تحدثت إليهن عن تجارب الزراعة التى أجريها هناك . فدعوت إسماعيل صدقى وكريماته وأنجاله . .

فقال فاروق ... أيوه . . إنما يعنى بعد الغداء ، الستات يقعدوا لوحدهم ويتركوا المجال للرجال على الطريقة الأنجليزية .

فقلت له. على كل حال . . هذا شىء طبيعى جدا، أنه إذا اجتمع على ماهر وإسماعيل صدقى فليس معقولا ألا يتحدثا فى السياسة . ولكنه حديث لخدمة العرش والبلاد .

ثم أشاح الملك وجهه عنى . ولم يتحدث إلى طوال المأدبة . . ثم علمت أنهم أفهموه إننى أدبر مؤامرة سياسية ضده .

ويمضى على ماهر فى حديثه فيقول :

— ومرة أخرى بعد أن أعلنت عن تأليف جبهة مصر ، وكانوا قد أفهموا فاروق أنها لمناهضة سياسته . لقد دعيت فى مناسبة ملكية ووجدت مقعدى فى مكانه الطبيعى . . فإذا به يسألنى ساخرا « أيه حكاية جبهة مصر ؟ » . . فشرحت له برنامج الجبهة ، وكيف أنى أرجو أن تتبناه جميع الأحزاب لصالح البلاد ، وإنه لا هدف لنا إلا جمع الكفاءات والعناصر الصالحة من كل الهيئات

للتعاون على خدمة البلاد . ويبدو أن أحد المدعوين من الوزراء سمع طرفا من هذا الحديث ، فأبلغ هذا الوزير أحد محررى « الأهرام » أن الملك تحدث إلى عن برنامج جبهة مصر وإذا بالجريدة تصدر فى اليوم التالى . وفيها نبأ يقول أن الجبهة حظيت بالتأييد السامى . وظن فاروق إننى استغللت حديثه معى للنشر فى الصحف ، فثار القصر وأصدر تكذيبا للنبأ . . وكانت هذه أول مرة يصدر فيها القصر مثل هذا التكذيب »[1] .

والواقع أن فاروق كان لا يطيق على ماهر . وكان يثور إذا ذكر اسمه أمامه . وعندما كان على ماهر معتقلا فى « السرو » بأمر الانجليز ، أبلغ الملك أن الانجليز يسيئون معاملة على ماهر لدرجة أنه هدد مرة بالانتحار . . فقال فاروق « يموت فى ستين داهية »[2] وعندما دعا فاروق إلى مأدبة غداء بمناسبة مولد ولى العهد شرب القهوة فى الصالون على مقعد كبير بين حسين سرى وعلى ماهر . وكان فاروق يوجه الحديث طوال الجلسة إلى حسين سرى .

---

(١) تغير مجرى الحديث على مائدة على ماهر ولم يتحدث عن المناسبة الثالثة التى وجد فيها مكانه بجوار الملك .

(٢) أكد لى على ماهر أن واقعة تهديده بالانتحار التى أبلغت إلى فاروق ، لا أساس لها من الصحة على الاطلاق .

وتحمل على ماهر كل هذه الاساءات . وكان ينسبها إلى طيش الملك ووقيعة الدساسين . وكان على ماهر يردد أن سياسته هى الدعوة المثمرة إلى توحيد الصفوف . ولذلك فقد رسم سلوكه السياسى على أساس عدم المساس بأى سياسى بأية عبارة تثير عداوة أو حقدا وكان يسعى إلى صداقة الجميع .

هادن القصر .

وهادن الوفد والسعديين والدستوريين والاشتراكيين . . .

مع أن آراءه الحقيقية فى كل هؤلاء كانت كفيلة بأن تثير بينه وبينهم عداوة من نار . ولكنه كان يقول :

« فى كل هيئة عناصر صالحة ، يمكن أن تفيد منها البلاد . وكيف إذن أدعو إلى الوحدة ، وأهاجم فى الوقت نفسه من أدعوهم إلى الوحدة » .

ولذلك فإن جميع أحاديثه وتصريحاته السياسية كانت تحتاج إلى فقهاء ومفسرين للكشف عن حقيقة ما يقصد إليه .

قال له مرة المرحوم توفيق دوس : « لقد قرأت حديثك أربع مرات . . وفى كل مرة كنت أفهم منه معنى جديدا »[1] .

(١) وقد وصف خصوم على ماهر هذه السياسة بأنه كان يريد ان يمشى على قشر البيض دون أن يخدشه .

وكان على ماهر وهو يستعد لتولى الوزارة فى أية لحظة قلقا على موقف الصحافة منه .

ودعانى مرة إلى منزله — وكان وحده — ليسألنى عن الاتجاهات الحقيقية الخفية فى دور الصحف نحوه . .

فقلت له : أن بعض الصحف ستؤيدك ، لأنها تؤيد كل وزارة ، والباقى يتوقف على اتصالات « رفعتك » الشخصية ومواجهتهم بالحقائق وتقدير المسئولية .

= حدث فى عهد حكومة الوفد عام ١٩٥١ ، أن طلبت من على ماهر حديثاً عن المسألة الخارجية . وقال على ماهر فى حديثه أن وزير الخارجية لن ينجح فى مهمته فى أى بلد من بلاد العالم إذا لم يعتمد على جبهة داخلية قوية تقوم على حكم صالح .

وقد راجعت الحديث مع على ماهر ثلاث مرات . وطلب منى أن أراجعه معه للمرة الرابعة . وظننت أنه لادامى لهذه المراجعة . ونشرت « آخر لحظة » الحديث ومعه صورة لإبراهيم فرج وزير الخارجية بالنيابة كتب تحتها عبارة يفهم منها أنه لايعتمد على حكم صالح . وكانت عناوين الحديث تبرز أن على ماهر يتحدث عن الوضع الداخلى فى مصر .

وذهبت لأقابل على ماهر يوم نشر الحديث . وإذا به ثائر غاضب يحتج على النشر قبل المراجعة . وأملانى خطاباً استغرق كتابته ثلاث ساعات احتج فيه على عناوين « آخر لحظة » .

فقال : ولكن الحزبية والأغراض الشخصية هى التى تحرك دور الصحف فى مصر .

قلت : اطلق حريات الأقلام « يا رفعة الباشا » إلى أقصى حدودها . دعهم يكتبون ما يعتقدون . وأنت ستعمل للخير . فلماذا تخشى أحدا ؟

قال : إننى أول المؤمنين بحرية الصحافة . وقد استقلت مرة من لجنة الدستور بسبب إصرارى على النص على حرية الصحافة. ولكننى أطالب الصحافة أن تتحرر من استعباد المصالح والأغراض لها . لقد بلغ التهجم على خيار الناس وبغير حق درجة يؤسف لها ويجب أن يوضع لها حد ..

قلت : وكيف ؟

قال : فى رأيى أنه يجب تقرير عقوبة مالية ضخمة على الأنباء الكاذبة ، حتى يأمن الصالحون نشر التهجم عليهم . .

قلت : هل تريد حقا أن تؤدى أكبر خدمة للصحافة المصرية ؟

قال : طبعا . .

قلت : إذن . . امنع المصروفات السرية منعا باتا . . ستجد من يؤيدك بحق . ومن يعارضك بغير هوى . . هذه هى البقعة السوداء فى ثوب الصحافة .

فنظر إلى على ماهر نظرة فاحصة ثم قال :

— إننى أعلم أن بعض الصحف المعارضة للحكومة فى مبادئها كانت تقبض مصروفات سرية من هذه الحكومات وهذا هو المؤلم . . لقد كانت فكرة المصروفات السرية فى بادئ الأمر أن تعطى مرتبات صغيرة لاتتجاوز العشرين جنيها[1] لمندوبى الصحف فى رياسة مجلس الوزراء كبدل ملابس لأنهم مضطرون إلى أن يظهروا بمظهر لائق ومشرف أمام السفراء الأجانب ، ولأنهم كثيرا مايضطرون إلى تناول طعامهم أثناء استمرار العمل فى مجلس الوزراء ، وقد لا تكون صحفهم قادرة على تعويضهم وهذا ماكنت أفعله وأنا رئيس حكومة . . ولكننى أرى أن الأمور قد تطورت .

---

(١) بعد أن أصبح على ماهر رئيساً للحكومة ، اضطر تحت الإلحاح أن يأمر بدفع مبلغ ٥٠٠ جنيه لأحد الصحفيين من المصروفات السرية . ثم فوجىء بأن جريدة هذا الصحفى تنشر بياناً له فى مكان مهمل . فثار على ماهر وهو يقول لأحد وزرائه « تصور . . الراجل قبض ٥٠٠ جنيه امبارح فقط . . وانظر كيف يهمل بيانى الذى أبرزته الصحف التى لم تقبض . . » فقال الوزير ضاحكاً : « على قد فلوسك يارفعة الباشا . . كان هذا الصحفى يقبض ألف جنيه فى عهد حكومة الوفد ورفعتك أعطيته ٥٠٠ فقط » .

وقد فوجئت ذات صباح وعلى ماهر رئيس للوزارة بأن أحد وزرائه وهو الصديق الأستاذ إبراهيم عبد الوهاب يعرض على وعلى زميلى على حمدى الجمال (مدير تحرير الأهرام الآن) مرتباً شهرياً من المصروفات السرية . فاعتذرنا عن عدم القبول وثرنا لكرامتنا . ولما سمع على ماهر قال أنه أراد فقط أن يتأكد من نزاهتنا الصحفية وطيب خاطرنا .

وعندما التهب حريق القاهرة . . تأكد على ماهر أن الوزارة ستعرض عليه بين لحظة وأخرى . وكان يريد أن يتصل بمن يعرفهم من الصحفيين ، ليتابع تطور الموقف السياسى . وفى الساعة السادسة من مساء ٢٦ يناير ، وكانت النار قد أكلت أضخم مبانى القاهرة ، اتصل على ماهر تليفونيا بشقيقه الدكتور محمود ماهر فى دار الأسعاف . وسأل عن عدد القتلى والجرحى . ولما قال الدكتور محمود ماهر إننى واقف إلى جواره طلب إليه أن أتحدث معه . وسألنى على ماهر عن تفصيلات الأحداث ثم قال :

« هذه هى نتيجة الفوضى . طبعا بعد أن يأمر فؤاد سراج الدين جنود البوليس أن يقاوموا قوات جيش منظم . . لا بد أن ننتهى إلى هذا »[1] ثم قال : فين مصطفى أمين . . خليه يتصل بى فورا .

---

(١) كان على ماهر يشير إلى حادث حصار القوات البريطانية لقسم بوليس الإسماعيلية يوم ٢٥ يناير وإنذارها لضباط القسم بالتسليم أو الضرب بالمدفعية . وقد اتصل ضباط القسم بوزارة الداخلية فى القاهرة لأخذ الرأى فأمر فؤاد سراج الدين وزير الداخلية ضباط القسم بالمقاومة إلى آخر نقطة من دمائهم . ولم يكن لدى الضباط إلا قوة بسيطة من الجنود وعدداً من البنادق . وقد رفض الضباط والجنود المصريون الإنذار البريطانى وقاوموا ببسالة . واستشهد عدد منهم . وأصيب ضابط لا يزال يعالج حتى الآن فى أوروبا من أصابته .

وبعد ساعات .. كان حافظ عفيفى يعرض الوزارة على على ماهر ..

وبدأ على ماهر اتصالاته فى ساعة مبكرة من صباح ٢٧ يناير .

وقبل أن يقابل الملك فى الساعة الثالثة بعد الظهر ، طلب على ماهر من الدكتور أحمد حسين أن يقابله . وقد وصل الدكتور أحمد حسين إلى منزل على ماهر فى الساعة الثانية بعد الظهر واستمر النقاش بينهما حتى وصلت سيارة على ماهر إلى باب قصر عابدين .

وقابلت الدكتور أحمد حسين بعد عودته إلى منزله وسألته :

— هل قبلت الاشتراك فى الوزارة ؟

فأجاب بحزم : لا . . لن أدخل الوزارة .

قلت : ولماذا ؟

قال : لقد ناقشت على ماهر طويلا بعد أن قال لى : أنه يعتمد على فى تقديم أصلاح اجتماعى ضخم للبلاد . . ولكنى أحسست إنه غير مقتنع برسالة التطهير . .

قلت : ماذا حدث ؟

قال : قلت له هذه فرصة ذهبية . يجب أن يصارح الملك بالحقائق . ويجب أن يطلب منه قبل تأليف الوزارة طرد جميع

رجال الحاشية . وقلت له يجب أن يحاكم المفسدين محاكمات عاجلة وسريعة حتى يطمئن الشعب إلى أن يد القانون قد وصلت إلى الكبير قبل الصغير . قلت له بصراحة : هل أنت مستعد لأن تحاكم وتحبس أى سياسى مهما كبر شأنه عن الجرائم التى اقترفها فى حق هذا البلد ؟ . .

وكان رد على ماهر أنه مؤمن بكل كلمة قلتها له . ولكنه يرى أولا أن تؤجل هذه المسائل الداخلية فترة قصيرة ولتكن ثلاثة أشهر فقط . حتى تواجه البلاد الإنجليز يدا واحدة . . .

كما قال أن الدستور نص على طريق معين لمحاكمة الوزراء يجب الالتزام به .

ومضى الدكتور أحمد حسين يقول :

— لم أترك على ماهر إلا عند باب قصر عابدين . ولا أعتقد أنه سيواجه الملك بأشياء أخرى قلتها له .

وسألته — ماذا طلبت أيضاً ؟

أجاب : قلت لعلى ماهر أن يطلب من الملك أن يعلن تنازله عن أملاكه أو على الأقل عن نصفها للشعب . وهذا عمل يقابله الشعب الساخط على فاروق بالتقدير والحب . فالشعب المصرى . شعب طيب القلب . يندفع إلى الحب . والحسنات تنسيه السيئات : ولن

يستميد الملك حب الشعب الذى فقده إلا إذا قدم الدليل . . وبذلك يعطى الملك أيضاً قدوة حسنة للأغنياء وتحرر البلاد من اتهامها فى العالم الخارجى بأنها بلاد الإقطاع والحريم . أن كلمة « باشا » تعنى الآن فى الصحف الأجنبية أميراً من أمراء الإقطاع أو قاطع طريق . . والوعى العام فى البلاد قد تقدم إلى درجة لا يمكن تجاهلها ، ولن تكافح الشيوعية بالزج فى السجون ، وتكميم الأفواه . . بل بالاتجاه العملى الصادق نحو الإصلاح الاجتماعى . .

إنذار من على ماهر

وقابل على ماهر الملك فى الساعة الثالثة بعد الظهر . .

وفى الساعة التاسعة والنصف مساء ، كان على ماهر قد أرسل إلى القصر أسماء وزرائه ، وكتاب تأليف الوزارة الجديدة .

وفى تلك اللحظات ركبت سيارة أسعاف مع على أمين لنستطيع أن نصل إلى عوامة رئيس الوزراء فقد كان منع التجول مفروضا .

وكان على ماهر يتناول العشاء ومعه الدكتور محمود ماهر وإبراهيم عبد الوهاب[1] ومحيي الدين فهمى (ابن عم على ماهر)[2] .

---

(١) اختاره على ماهر وزيراً . وكان سكرتيراً عاماً لمجلس الشيوخ .
(٢) اختاره على ماهر سكرتيراً عاماً لمجلس الوزراء .

كانوا ينتظرون إرسال مرسوم الإعفاء من الحكم إلى مصطفى النحاس . ووصول مراسيم تأليف الوزراء إلى على ماهر .

وأمسك على ماهر قلما وراح يخط به على ورقة زرقاء خطوطا طويلة ودوائر صغيرة . وكان القلم يقف بين أصابعه بضع لحظات . . ويمعن فى التفكير الطويل ثم يعود . فيحرك القلم على الورقة الزرقاء ويرسم خطوطا عريضة . . ويعيد الضغط على الدوائر التى سبق أن رسمها . . كان الأرهاق يبدو على كل ملامح وجهه . ما عدا نظراته . . فقد بقيت نظرات شابة لامعة .

ثم أمسك القلم من جديد .

وكتب نداء إلى الشعب . .

وأعد كشفا بالأوامر التى سيصدرها عندما يبلغ رسميا بعد دقائق أن الإقالة سلمت إلى مصطفى النحاس . .

ثم دق جرس التليفون . وكان رنينه مدوياً مثيراً فى جو السكون والصمت والترقب الذى خيم على الجلسة . وأسرع محيي الدين فهمى للرد . وناول على ماهر السماعة وهو يقول له :

حافظ باشا عفيفى . .

وسمعت على ماهر يجيب بصوت حانق بعد لحظة من وضعه السماعة على أذنه .

— طيب . . طيب . . وهو كذلك

وعاد على ماهر إلى المائدة مكفهر الوجه مقطب الجبين . وسكت لحظات . فاستولى علينا الوجوم . وتطلعت أعيننا إليه تريد أن تسأله : ماذا جرى ؟ . .

وأخيراً تكلم على ماهر .

وفى صوت ضعيف هادئ قال لنا :

— لقد تأجل تأليف الوزارة . .

وعاد القلم الصغير إلى أصبعه ليرسم الدوائر الضيقة من جديد على الورقة الزرقاء . وأطرق لحظة ثم قال :

— يظهر أنهم أخذوا برأيى الذى أبديته فى الصباح وهو تأجيل تأليف الوزارة . .

فتراكم الصمت فى غرفة المائدة . وأصبح أمامنا على ماهر رئيس الوزراء فى غمضة عين رئيس وزراء سابقا . .

وقطع صوت على أمين هذا الصمت الثقيل ، وقال لعلى ماهر :

— إذا لم تؤلف رفعتك الوزارة الليلة فلن تؤلفها . .

وامتقع وجه على ماهر . وتابع على أمين كلامه :

— إننى أخشى إذا لم تتألف الوزارة الجديدة الليلة ، أن يسوء

الحال . وقد يتجه فاروق اتجاها آخر ليس من مصلحة الشعب .

وقال إبراهيم عبد الوهاب حائراً : طيب وما العمل ؟

على أمين : يجب أن يتحدث على ماهر فوراً إلى حافظ عفيفى ، ويبلغه أنه إذا لم يؤلف الوزارة الليلة فإن الحالة ستسوء . .

الحاضرون . يامحيي بك (محي الدين فهمى) اطلب حافظ عفيفى فى التليفون .

وطلب حافظ عفيفى ، وقام على ماهر ليتحدث إليه . .

وقال إبراهيم عبد الوهاب لعلى أمين : كن إلى جواره وهو يتحدث . .

فتبعه على أمين ووقف إلى يساره . .

على ماهر : يا حافظ باشا . . الأستاذ على أمين بجانبي ويرى أن تؤلف الوزارة فوراً الليلة ، كما أن هناك أنباء من وكالات الأنباء بأن القوات البريطانية ستزحف على القاهرة .

حافظ عفيفى : لقد اتفقنا على تأجيل التأليف إلى غد .

وانتهت المحادثة التليفونية .

ولما وضع على ماهر السماعة قال له على أمين :

— لقد نجحت المؤامرة ضدك فى القصر . يجب أن تدق

التليفون فوراً لحافظ عفيفى وتقول له . . إذا لم أؤلف الوزارة الآن فلن أؤلفها على الاطلاق . .

وتردد على ماهر لحظة . ولكنه أمسك التليفون وقال لحافظ عفيفى وهو يضغط على كل كلمة :

— قل للملك إذا لم أؤلف الوزارة الآن فلن أؤلفها .

حافظ عفيفى — سأرد عليك بعد خمس دقائق . .

وخضع فاروق لأنذار على ماهر . وقبل أن يؤلف الوزارة عند منتصف الليل يوم ٢٧ يناير . .

ماذا جرى فى القصر ؟

والسؤال الآن . . ماذا جرى فى القصر فى تلك الليلة ؟ . . لماذا عدل الملك عن إسناد الوزارة إلى على ماهر . . ثم عاد فقبل فى منتصف الليل ؟

كان الفريق محمد حيدر يقوم بجولة تفتيشية فى أنحاء القاهرة فى تلك الليلة للاطمئنان إلى أن قوات الجيش أمسكت بزمام الأمور . . وعاد حيدر بعد جولته إلى القصر ، وقابل فاروق على الفور وقال له : أن كل شىء على ما يرام .

وقال له فاروق : أنا أقلت مصطفى النحاس . . وعلى ماهر حيألف الوزارة الجديدة . . ما فيش قدامنا غيره . .

وارتبك حيدر وظهرت على وجهه دلائل القلق .

فسأله فاروق : مالك ؟

قال حيدر : أنا خايف من العواقب . . أن مصطفى النحاس هو الذى ألغى المعاهدة وهو الذى يحكم عامين كاملين متعاونا مع القصر . . فكيف يقال من الحكم . والشعب يؤيده فى حماسة فى وقفته ضد الإنجليز . . أقول يا مولاى بكل إخلاص إننى لا أضمن الجيش إذا أقيل مصطفى النحاس .

وثار فاروق وقال لحيدر : القائد العام الذى لا يضمن الجيش يجب أن يترك الجيش . . وأراد حيدر أن يخفف من حدة الموقف فقال : ليس المهم يا مولاى أن أبقى فى الجيش أو أتركه . . المهم أن نضمن سلامة العرش والبلاد . . إننى أقترح حلا وسطا لإنقاذ الموقف وأرجوك أن تستمع إليه . .

فاروق : إيه هوه ؟

حيدر : يجب أن يعرض على مصطفى النحاس أن يؤلف وزارة قومية تشترك فيها جميع الأحزاب لأن أحداث اليوم تستوجب هذا . . فإذا وافق كان بها . . وإذا رفض أصبحنا فى حل من أعفائه من الحكم وإسناد الوزارة إلى على ماهر . .

وانبرى إلياس أندراوس للدفاع عن هذا الرأى . وأيده بعض

رجال الحاشية الذين كانوا يخشون من أن تجيء وزارة أخرى تطالب بالتطهير . وقالوا أن التطهير مقصود به القصر . . وأن أحسن ما يمكن عمله هو تأليف وزارة قومية تسدل ستارا على الماضى . .

واقتنع فاروق بالفكرة . فقد أزعجته كلمة التطهير التى كانت تتردد فى صحف أخبار اليوم فى ذلك الوقت . وأبلغ حافظ عفيفى على ماهر بالتليفون أن تأليف الوزارة قد تأجل . . ثم أنذرهم على ماهر بأنه لن يؤلف الوزارة . .

وخضع فاروق فجأة للأنذار . .

فقد جاءت البرقيات من وكالات الأنباء فى تلك اللحظات بأن الجنرال أرسكين أمر القوات البريطانية فى القنال بأن تزحف نحو القاهرة . . ثم قالت البرقيات بعد ذلك أن القوات البريطانية على بعد ٤٠ ميلا من العاصمة .

وخشى فاروق من التطورات والمفاجآت . .

وبدأ رئيس الوزراء الجديد يباشر عمله فى الساعة الثانية بعد منتصف ليلة ٢٧ يناير فى مكتبه بدار رياسة مجلس الوزراء . . .

علامات الساعة

كان أكبر هدف أمام على ماهر أن يبدأ المفاوضة مع الإنجليز . . كان يعتقد أن حل المسألة الخارجية يمكن أن يتم خلال ثلاثة أشهر . .

وبعد ذلك يتفرغ للمشاكل الداخلية . . وكان غير مطمئن إلى تأييد فاروق له أو مساندة أحد رجال حاشيته . . وكان يعلم أن هناك اتصالات جرت مع نجيب الهلالى لتأليف الوزارة . . وكان مؤمنا أن إلغاء معاهدة ١٩٣٦ تم بمناورة سياسية بارعة من الوفد لتغطية فساد الحكم[1] .

---

(١) دعا الدكتور حامد زكى وزير الاقتصاد فى حكومة الوفد السير رالف ستيفنسون السفير البريطانى لتناول العشاء . وبعد العشاء قال السير رالف :

— هل أنتم جادون حقاً فى إلغاء المعاهدة ؟

فأجاب حامد زكى :

— نعم . وأنتم المسئولون عن وضعنا فى هذا المأزق .

فقال السفير :

— ولكن هذا الإلغاء كارثة عليكم وعلينا . . ولابد أن نفكر فى حل .

فقال حامد زكى :

— الحل أن تتقدموا فوراً بعرض جديد لا مجرد صيغة جديدة . عرض تنزلون فيه عن موقفكم . .

فقال السفير :

— ولكن لايوجد وقت لعرض جديد . . أن دورة مجلس النواب ستنتهى بعد أسبوع ولاشك أنكم ستعرضون على البرلمان إلغاء المعاهدة قبل فض الدورة . .

فقال حامد زكى :

— طبعاً . .

قال السفير :

— هل يمكن إرجاء الفض ثلاثة أسابيع حتى نتقدم بعروض جديدة . أن موريسون وزير الخارجية مسافر إلى امريكا . . ولايمكن تقديم عرض

وكانت هناك فكرة بين بعض رجال القصر أن يقال مصطفى النحاس . وأن تؤلف وزارة تعلن إلغاء المعاهدة . وبذلك يفوتون على حكومة الوفد كسب التأييد الشعبي بإلغاء المعاهدة وكانت المعسكرات السياسية غير الوفدية تتوقع أن مصطفى النحاس

= جديد قبل عودته .. أرجوك كرجل وطني ألا تعرض بلادك لهذه الكارثة .

فقال حامد زكي : سأحاول إقناع النحاس بإرجاء فض البرلمان.

فقال السفير : إنك تخدم بلادك بهذا . . وأنا أعدك أن أضغط على وزارة الخارجية البريطانية لتغير من موقفها .

ثم سكت السفير قليلا وقال : ألا تظن انه يحسن الانتظار حتى يعود الملك من رحلة شهر العسل واقنعه برفض توقيع مراسيم إلغاء المعاهدة .

فقال حامد زكي : هذا شأنك ولكنني أعتقد أن الملك سيرفض طلبك ، لأنه إذا رفض توقيع مراسيم إلغاء المعاهدة سيضع نفسه في موقف شائن أمام الشعب . ثم أن من مصلحته أن يوقعكم في أزمة مع الوفد .

فقال السفير : معك حق .. إذن حاول أن تقنع النحاس بإرجاء فض البرلمان، حتى نتقدم بعروض جديدة .

وكان النحاس قد أقام في جناحه بفندق سان استيفانو مأدبة غداء لحامد زكي بمناسبة سفره إلى أوروبا . فانتحى حامد زكي بفؤاد سراج الدين وقال له :

— هل أنت موافق على إلغاء المعاهدة .

فقال سراج الدين :

— ده جنون صلاح الدين . أنا غير موافق .

فروى له حامد زكي حديثه مع السفير البريطاني . فقال فؤاد سراج الدين : هذا إنقاذ للوزارة من المأزق .

فقال حامد زكي :

— إذا كان هذا رأيك . فقل للنحاس عن اقتراح السفير . =

سيعلن إلغاء المعاهدة بعد عودة فاروق من كابرى . . وكان المرشح الأول لرياسة الوزارة التى تلغى المعاهدة هو نجيب الهلالى . ولذلك كانت عودة فاروق من كابرى هى علامات الساعة فى الموقف السياسى .

عاد فاروق من كابرى فجر يوم السبت ١٥ سبتمبر سنة ١٩٥١ .

= فقال فؤاد سراج الدين :

— لا . . أنا أفضل أن تبلغ أنت الباشا . . وسأكون بجانبك أؤيد الفكرة .

وروى حامد زكى للنحاس حديثه مع السفير . فوافق على الفور على إرجاء فض الدورة ثلاثة أسابيع . وتوجه حامد زكى إلى الباخرة وجلس فى حجرة المكتب وكتب خطاباً باللغة الفرنسية للسفير البريطانى قال فيه « لقد استطعت بعد مجهود ضخم أن أقنع النحاس بإرجاء فض الدورة ثلاثة أسابيع حتى تتقدموا بعروض جديدة تحتوى على تغيير كامل فى الأسس لا مجرد تغيير فى الألفاظ . وإننى أعتمد على ذكائك وقدرتك فى إيجاد مخرج سريع من هذا المأزق » ووضع حامد زكى خطأ تحت عبارة « تغيير كامل فى الأسس » . ووقع الخطاب ، وسلمه لمدير مكتبه وطلب منه أن يسلمه للسفير البريطانى .

وماطل الإنجليز . وطلب مستر هربرت موريسون مهلة أخرى لتقديم مقترحات جديدة . ورأت وزارة الوفد ألا مفر من إلغاء المعاهدة وأعلن النحاس إلغاءها فى البرلمان .

وعاد حامد زكى من أوروبا وذهب إلى النحاس وقال له : هل درستم نتائج إلغاء المعاهدة ؟

وهل اتخذتم العدة لمواجهة هذا الإلغاء ؟

فقال النحاس : اسمع . . الأمريكان معانا . والسفير الأمريكانى بيأيدنا بس ماتقولش لحد .

فسأل حامد زكى : أنت متأكد ياباشا ؟

فقال النحاس : طبعاً متأكد . الأمريكان معانا وصلاح الدين كلم

ومضت ثلاثة أيام على عودته ولم يستقبل مصطفى النحاس رئيس الوزراء مع أنه أقام مأدبة لموظفى القصر وأذيع ذلك فى الصحف . فهللت المعسكرات السياسية المخاصمة للوفد وأطلقت قذائف النصر . وأعلنت أن علامات الساعة قد ظهرت فى المحيط الوزارى .

= إبراهيم فرج من باريس وأكد له ان الإنجليز سيضطرون إلى الجلاء وأن هناك ضغطاً على انجلترا .

فقال حامد زكى : أنا عندى شعور أن الملك سيقيل الوزارة ليخرج من هذا المأزق .

فقال النحاس : فؤاد سراج الدين بيقول أن الملك لن يجرؤ على إقالتنا بعد أن حطمنا جميع الكبارى اللى وراه بإلغاء المعاهدة .

فقال حامد زكى : ان قانون من أين لك هذا سيستغل ضدكم وسترى . .

فقال النحاس : أنا ماعنديش حاجة . . والحاجات اللى عند « الست » أنا عارف مصادرها واحدة واحدة . ثم أن الملك معانا قلباً وقالباً . ولم يتأخر فى توقيع المراسيم بل سارع فى توقيعها . .

فقال حامد زكى : أنا غير مطمئن للملك . .

فقال النحاس : أنت سيء الظن . . مادام أنا مطمئن لازم كلكم تطمئنوا . .

وفى اليوم التالى لإقالة الوزارة ذهب حامد زكى لزيارة النحاس فقال له :

— أنت ياحامد كنت بعيد النظر .

فقال حامد : ماتزعلش يارفعة الباشا . . الإقالة دى من مصلحتك . . أنها إنقاذ لك من المأزق .

فقال النحاس : أنا مش زعلان . . إنما اللى مجنني ياحامد أن فاروق قبلها بيوم أرسل لى بشاير يوسف أفندى وبرتقال من حدائقه . وقال أنه عاوزنى أكون أول واحد يدوقها . .

وفى مساء اليوم الثالث لعودة فاروق . وحوالى الساعة العاشرة والنصف . كان نزلاء فندق سان ستيفانو يطفئون أنوار حجراتهم استعداداً للنوم .. وكنت أستعد لترك صالة الفندق وإذا بى أفاجأ بموظف الاستقبال ومدير الفندق وعامل التليفون قد وقفوا ملتصقين مضطربين ودلائل الحيرة على عيونهم . فسألتهم : ماذا جرى ؟

فكانت الإجابة الخافتة : مولانا جوه ..

— فين .. ؟ عند النحاس فوق ؟

— لا ... فى حجرة التليفون .. ومعه بوللى ..

والذى حدث أن إدارة الفندق فوجئت بفاروق يدخل مسرعا إلى حجرة التليفون فى الدور الأول لابساً قميصاً مفتوحا ، عارى الرأس وفى ذيله بوللى « بلبل » الذى أمر « على » عامل التليفون بمغادرة الحجرة . ومكثا أكثر من نصف ساعة . وخرج فاروق قبل بوللى .. ونظر إلى مدير الفندق وقال وهو يتجه إلى سيارته : إيه ده تليفونات بايظة . .

وعندما وصل إلى السيارة رأى موظفى الفندق الثلاثة واقفين على السلم الخارجى ليكونوا فى توديعه ، فأشار بيده بغطرسة أن يدخلوا . وهو يقول بصوت مزعج : إيه .. هيه زفة ؟

وبعد ذلك خرج «بلبل» ومرقت بهما السيارة فى اندفاع سريع.

وبعد دقائق وصل نبأ هذه الواقعة إلى مصطفى النحاس الذى كان نائماً فى جناحه بالفندق فثار وظن أنها من علامات الساعة . وأنها « حركة » ملكية . فما معنى عدم دعوته لمقابلة الملك الذى عاد منذ ثلاثة أيام بحجة شواغل الملك ؟ . . وما هو الهدف من زيارة الملك لفندق سان ستيفانو بالذات الذى يقيم فيه رئيس الوزارة وموعد المقابلة يؤجل ؟

وانتشرت القصة فى الأسكندرية . واستعد أصدقاء نجيب الهلالى لدعوته لهم فى أية لحظة للاشتراك فى الوزارة الجديدة .

وزاد الموقف تعقيداً فى عقل مصطفى النحاس ، إن القصر حدد موعداً المقابلة شيخ الأزهر للملك .

ثم فجأة . . تطورت علامات الساعة . .

لقد دعى مصطفى النحاس فى الساعة الخامسة من مساء يوم الأربعاء ، لمقابلة فاروق . .

وعاد مصطفى النحاس إلى فندق سان ستيفانو فرحاً جزلا أمام مندوبى الصحف . .

وكتبت الأهرام تقول :

« وكانت أمارات الاغتباط بادية فى وجه رفعته عندما عاد من القصر العامر . ولما هبط من السيارة أقبل عليه مندوبو الصحف فحياهم بابتسامة عريضة وقال : لقد تشرفت بالمثول بين يدى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فاروق المعظم ، ورفعت إلى المسامع الملكية الكريمة مختلف شئون الدولة الهامة . وتفضل جلالته أعزه الله فأسدى إلى إرشاداته السامية وتوجيهاته الغالية ، كما تفضل فغمرنى بعطفه السامى ورعايته الكريمة وانصرفت من حضرة جلالته وأنا أردد الدعاء الخالص بأن يحفظ الله العلى القدير ذاته الكريمة ويمد فى عمره السعيد » .

وقالت الدوائر الوفدية : إن مصطفى النحاس « يحايل » الملك حتى يلغى المعاهدة . .

وجاء يوم ٨ أكتوبر ، وألغى مصطفى النحاس المعاهدة . .

وهلل الشعب . وسارت المظاهرات تهتف بسقوط المعاهدة وسقوط الإنجليز .

وأوضحت الأحداث بعد ذلك إن الوزارة لم تستعد لما بعد إلغاء المعاهدة . على الرغم من التصريحات الرسمية بأنها أعدت لكل شىء عدته .. ووقع حادث الإسماعيلية .

وجاء يوم ٢٦ يناير . واحترقت القاهرة . . وقرر فاروق إقالة مصطفى النحاس وإسناد الوزارة إلى على ماهر .

وبدأ على ماهر عمله بنشاط غريب . كان يستيقظ فى الفجر وينام بعد منتصف الليل .

ومرت أربعة أيام فقط ..

ثم فوجىء بالأزمة الأولى مع فاروق . .

الفصل الثانى

خمس أزمات حطمت وزارة على ماهر

الأزمة الأولى

زار كريم ثابت الأستاذ إبراهيم عبد الوهاب أقرب الوزراء إلى قلب على ماهر ، فى مكتبه ، وقال له :

— اسمع يا إبراهيم بك أنا أعلم أنك أقوى الناس تأثيراً فى رئيس الوزراء وأخلصهم حباً وتقديراً له . وأنا أريد أن أقدم لكم خدمة كبرى ، ستعرفون قيمتها ، إذا عرفتم ما يحاك الآن لوزارة على ماهر من دسائس . .

فسأل الوزير فى دهشة . .

— خير يا كريم باشا . . .

فقال كريم ثابت :

إن حافظ عفيفى وحسن يوسف ومن إليهما يعقتون على ماهر .. وقد جاء رئيساً للوزارة على الرغم منهم . وهم يعملون الآن على اقتلاعه فى أول فرصة . وأنت تعرف أن الملك موغر الصدر من على ماهر منذ سنوات طويلة . ولا توجد إلا وسيلة واحدة لإنقاذ الوزراة من ألاعيبهم ودسائسهم .

الوزير — وما هو هذا الحل ؟

كريم ثابت — الحل هو أن أشترك معكم فى الوزارة ، وزيراً لشئون القصر . إن وجودى معكم سيقضى على هذا « الإشكال » وأنا أخبر الناس بكل ما يجرى هناك . أنى أريد منك أن تقنع على ماهر بهذه الفكرة ، وهى رغبة أيضاً من جلالة الملك .

* * *

وبهت إبراهيم عبد الوهاب . فقد كان لا يتصور أن كريم ثابت صاحب الحول والطول . مقيم الوزارات ومقعدها يسعى إليه لكى يكون وزيراً . وإذا كانت هذه هى رغبة الملك فما هى قيمة وزير مثله فى الموضوع ؟

ونظر كريم ثابت إلى إبراهيم عبد الوهاب نظرة الخبير العارف . وأدرك ما يجول بخاطره ، فأسرع على الفور بتقديم الدليل ..

وضع كريم ثابت يده فى جيبه ، وأخرج مظروفا ، قدمه إلى الوزير وقال :

— هذه أسئلة صحفية موجهة إلى جلالة الملك من إحدى وكالات الأنباء العالمية ، ولكنه رأى أن يجيب عليها رئيس الوزراء، فتسلمتها لأقدمها إلى رئيس الوزراء .

وتسلم الوزير المظروف . ووعد بتقديمه إلى على ماهر ، مع إبلاغه كل ما دار فى المقابلة . .

وفكر إبراهيم عبد الوهاب فيما جرى فى ذهول . .

ما هى حقيقة مكانة ونفوذ كريم ثابت فى القصر الآن .. ؟

لقد قدم كريم ثابت استقالته من منصب المستشار الصحفى للملك . . وسافر إلى أوروبا وقيل فى ذلك الوقت أن كريم ثابت أصبح لا شىء . .

إن فضائح استغلاله لنفوذه كانت زكمت الأنوف . والرشوة التى تقاضاها فى فضيحة مستشفى المواساة أصبحت قصتها على كل لسان بعد أن أعلنها مصطفى مرعى فى مجلس الشيوخ .

فهل كانت استقالته مجرد حيلة سياسية لإبعاد صورته عن الأذهان ؟

أم أن أقارب ناريمان قد نجحوا فعلا فى إبعاد كريم ثابت عن الملك كما كانوا يروجون ؟

ولكن العليمين بطبيعة العلاقة بين فاروق وكريم ثابت كانوا يؤكدون فى ذلك الوقت ، أن فاروق يستحيل عليه أن يستغنى عن كريم ثابت ، لأنه لا يستطيع أن يملأ الفراغ الذى يتركه لقد كان كريم ثابت أذكى من فى القصر ، وألمعهم ذاكرة ، وأعمقهم خبرة فى السياسية المصرية والسياسة الخارجية . وله صلات شخصية وثيقة بجميع زعماء مصر . وقد حدث عندما قدم الأستاذ أحمد علوبة (باشا) عضو الأحرار الدستوريين ووزير العدل الأسبق الوثيقة المزورة المشهورة إلى القصر الملكى ، التى كان مفروضا أن تكشف عن اتصال مصطفى النحاس السرى برجال السفارة الروسية فى مصر . . حدث أن قامت ضجة كبرى حول هذه الوثيقة . واعتقدت الأحزاب المعارضة للوفد أن فاروق سيوقع كتاب إقالة مصطفى النحاس من الحكم بين لحظة وأخرى ريثما تقدم إليه تقارير خبراء الخطوط الذين طلب إليهم مضاهاة إمضاء مصطفى النحاس على الوثيقة بإمضائه الحقيقى . وأقام الأستاذ أحمد علوبة (باشا) مأدبة عشاء لأعضاء حزب الأحرار فى مطعم

سان جيمس وألقى خطابا سياسيا هاما قال فى ختامه : ثقوا أيها الإخوان أن ساعة الخلاص من حكم الوفد أصبحت قريبة . بل أقرب مما تتوقعون . .

وكانت قصة الوثيقة المزورة لا تزال سراً سياسياً لا يعلمه إلا بعض أقطاب الأحرار الدستوريين وبعض رجال القصر .

واستدعى فاروق كريم ثابت وقدم له صورة فوتوغرافية من الوثيقة وقال له : إيه رأيك ؟ . .

ونظر كريم ثابت إلى الوثيقة نظرة سريعة ، وقرأها فى أقل من دقيقة ثم قال للملك :

— هذه الوثيقة مزورة ؟

فاروق — إزاى ؟

كريم — هذه الوثيقة مزورة لسببين . الأول أن بها كشطاً ومصطفى النحاس لا يمكن أن يوقع على ورقة بها كشط . والسبب الثانى أنه مكتوب بها « حزب الوفد » ومصطفى النحاس لا يمكن أن يكتب «حزب» الوفد ، لأنه يعتقد أن الوفد ليس حزبا بل أمة ولذلك لا يذكره بصفته « حزب » مطلقاً .

ثم أمضى خبراء الخطوط أياما طويلة فى تحقيقهم وانتهوا إلى أن الوثيقة مزورة كما قال كريم ثابت فى نصف دقيقة .

فكان الأرجح إذن أن صلة كريم ثابت بفاروق لم تنقطع . . أو أنها قطيعة طارئة لا تلبث أن تزول .

* * *

وقصد إبراهيم عبد الوهاب على الفور إلى دار الرياسة وقال لعلى ماهر : يا رفعة الباشا فيه مسألة خاصة بكريم ثابت أحب أن أتكلم مع رفعتك فيها . .

فقال على ماهر : « فيـــه إيه . . . ؟ وأنت مالك ومال الحكايات دى ؟ . . »

واعتقد على ماهر أن الوزير علم شيئاً من الحديث التليفونى الذى دار بينه وبين أحد موظفى القصر فى هذا الموضوع .

لقد دار نقاش فى مسألة كريم ثابت . .

فقد اتصل أحد موظفى القصر بعلى ماهر ، وقال له أن الملك أبدى رغبة فى أن يعين كريم ثابت وزيراً لشئون القصر .

وأنهى على ماهر هذا النقاش بقوله لموظف القصر : معلهش . . تؤجل المسألة دى بعدين .

وفقد على ماهر أعصابه عندما سمع من وزيره ما جرى بينه وبين كريم ثابت . وقال :

« مستحيل . . دول مجانين . . دول ما بيفكروش . . هم دول الذين يسيئون إلى الملك . . لا . . لا لن أقبل . . »

والغريب فى الأمر بعد ذلك أن حافظ عفيفى أنكر أن القصر رشح كريم ثابت وزيراً .

كما أن حسن يوسف وكيل الديوان الملكى قال أنه لم يوافق على ترشيح كريم ثابت .

والأغرب أن فاروق نفسه قال أن كريم ثابت هو الذى رشح نفسه . . لقد أرسل فاروق الأمير الاى أحمد كامل قائد بوليس القصر إلى كريم ثابت فى داره يقول كيف يرشح نفسه وزيراً . . وأجاب كريم ثابت فى دهشة بأنه لا علم له بهذا الموضوع مطلقاً . .

وقال فاروق بعد ذلك لمصطفى صادق عم ناريمان : لقد طردت كريم ثابت من منصبه . . فغير معقول أن أعينه وزيراً للقصر . .

ولكن على ماهر لم يعلم ذلك كله . ولم يفصح عن اسم موظف القصر الذى اتصل به وطلب منه تعيين كريم ثابت وزيراً . .

الأزمة الثانية

طلب فاروق تعيين كامل القاويش نائبا عاما ، وكان كامل القاويش المستشار الوحيد الذى أنعم عليه فاروق برتبة البكوية .

لقد لمع اسم القاويش فى تحقيق قضية اغتيال أمين عثمان واستطاع بعد ذلك أن يتصل بالقصر بواسطة محمد حسن شماشرجى فاروق . واقتنع الملك أن تعيين القاويش نائباً عاما سيحميه من الصحف ومن محاولات اغتياله أو الثورة عليه .

وكان القاويش مكروها من الرأى العام بعد أن عرف أنه يقضى سهراته الخاصة مع شماشرجى فاروق .

وقال على ماهر : إن هذا يعنى نقل النائب العام الحالى عبد الرحيم غنيم من منصبه ، من غير سبب جناه . كما أن القاويش أحدث مستشار فى أقدميته مما سيثير كل المستشارين . كل هذا إذا تغاضينا عن الشائعات التى تدور حول علاقته بحاشية الملك .

وأراد أحد الوزراء أن يتوسط ، وأن يقسم البلد إلى بلدين ، تجنباً لأزمة قاصمة فقال لعلى ماهر :

— طيب عينه فى وزارة الداخلية وكيل وزارة لشئون الدعاية ، وقد كان مرشحاً لهذا المنصب من قبل فى عهد الوزارة السابقة (وزارة الوفد) .

فقال على ماهر :

— لا . . ولا فى هذا المنصب .

ثم هدأ قليلا وقال :

— خلاص إذا كان مرتضى المراغى وزير الداخلية عاوز ياخده عنده هو حر ، وتبقى المسألة بينه وبينهم (يقصد القصر) .

والطريف أن صاحب إحدى الصحف الأجنبية من وسطاء القصر ، اتصل تليفونياً بأحد الوزراء وسأله :

— إيه . . ثم إيه فى مسألة القاويش بك ؟

فرد عليه الوزير : يمكن رفعة الباشا يوافق على تعيينه وكيل وزارة لشئون الدعاية . .

فاعترض السائل فى لهجة غاضبة : لا . . لا . . وكيل وزارة إيه . . كنا يا حبيبى قبلناها من زمان ماكانت معروضة فى الوزارة اللى فاتت . . وكيل وزارة ؟ . . لا . . مولانا عاوزه نائب عمومى يعنى نائب عمومى ؟

وكان كامل القاويش يستعجل صدور المرسوم بتعيينه وكيل وزارة .وأراد أن يجس النبض . فقصد إلى صديقه الصحفى الوسيط وطلب إليه أن يعرف رأى على ماهر بلباقة صحفية ...

فاتصل الصحفى بالوزير مرة أخرى فى منزل على ماهر وقال له :

— ممكن تستأذن لنا رفعة الباشا أننا ننشر خبر وكالة الوزارة للدعاية علشان يبقى سبق صحفى . .

وأمهله الوزير على السماعة حتى يسأل على ماهر .

وكانت إجابة على ماهر : لا ... لسه شويه .

الأزمة الثالثة

وهدأت هذه الزوبعة لتبدأ زوبعة أخرى . .

فقد صدرت الحركة الإدارية وأعلنت فى الصحف . ثم تلقى على ماهر طلبا من القصر بوجوب تعيين أحمد طلعت حكمداراً للعاصمة . وكان مجلس الوزراء قد وافق على تعيين اللواء أحمد عبد الهادى حكمداراً ونشر النبأ . . وأصبحت الوزارة فى حرج شديد أمام طلب القصر . .

وقال أحد الوزراء :

— ولماذا لم يكشفوا عن هذه الرغبة قبل إذاعة الحركة الإدارية وإقرارها من مجلس الوزراء ؟

ثم كيف يعين أحمد طلعت ، والإخوان المسلمون سيرون فى هذا تحديا لهم وهو المتهم الأول فى نظرهم فى حوادث التعذيب والتشريد التى تعرضوا لها ؟

وقال على ماهر :

— إن أحمد طلعت قريبى . . وقد يرضينى أن يعين فى هذا المنصب . ولكن لظروف الأمن العام لا أوافق . .

وتدخل وسطاء القصر مرة أخرى . وقالوا لعلى ماهر : لاتجعل من هذه المسألة أزمة كبرى . إن الملك يعتقد أنه سيقتل إذا لم يعين أحمد طلعت حكمداراً . فالمسألة تتعلق إذن بفكرة فى ذهن الملك تهدد حياته . كما أن أحمد طلعت رجل بوليس ممتاز .

وقبل على ماهر حلا وسطاً وهو أن يعين أحمد طلعت فى منصب آخر فى الحركة الإدارية الجديدة التى ستصدر بعد أيام . .

ولكن فاروق رفض هذا الحل الوسط . .

وأصدر على ماهر قراراً بتعيين أحمد طلعت حكمداراً للقاهرة . .

وحاول أحمد طلعت بعد تعيينه أن يثبت لفاروق أنه جدير بالمنصب . فكان يمر فى شوارع القاهرة فى قافلة مفزعة من المصفحات الحديدية . وكان يقول أنه سيحل البوليس محل الجيش فى أيام معدودات لحراسة الشوارع والميادين خلال حظر التجول . وقد حدث أن هتف الطلبة فى إحدى المدارس الثانوية بهتافات ضد فاروق . فدخل أحمد طلعت إلى فناء المدرسة بمصفحاته المخيفة واستدعى ناظر المدرسة. ووجه إليه إنذاراً بأن يعمل على انصراف الطلبة خلال ثلاث دقائق وإلا كان مسئولا عن النتائج . وجلس أحمد طلعت فى فناء المدرسة ينظر إلى عقرب ساعته . وبعد أن تحرك العقرب إلى الدقيقة الثالثة ، كان الناظر قد أقنع الطلبة بالانصراف رفقا بحياتهم .

وكان أحمد طلعت يفخر بهذا الأسلوب[1]

الأزمة الرابعة

ثم دخل على ماهر فى أزمة رابعة من نوع جديد . أزمة دبلوماسية . .

أراد فاروق أن يعود عبد الفتاح عمرو إلى لندن فى أسرع وقت . وكانت وزارة الوفد قد قررت استدعاءه بعد إلغاء المعاهدة . ثم صدر أمر ملكى بتعيينه مستشاراً للشئون الخارجية فى القصر . وكان على ماهر لا يؤيد عودة عبد الفتاح عمرو بسرعة إلى لندن ، فالرأى العام فى مصر كان لا يزال ثائراً ضد إعادة العلاقات بين مصر وبريطانيا . وقد صفقت مصر لحكومة الوفد عندما استدعت سفيرنا فى لندن . وكانت الجماهير تنادى بقطع

(١) عندما أصدر نجيب الهلالى — عند توليه الوزارة بعد استقالة على ماهر — مرسوم حل البرلمان . أبلغ أحمد طلعت « دولة » الهلالى ان نواب الوفد وشيوخه سيجتمعون فى البرلمان تحديا لمرسوم الحل . واستأذنه فى حصار البرلمان بقوات البوليس المسلحة . وفى ذلك اليوم منع زكى العرابى رئيس المجلس حتى من الدخول إلى مكتبه .

وبعد أن قامت ثورة ٢٣ يولية ، وتولى على ماهر رياسة الوزارة ، طلب مجلس الثورة إحالة أحمد طلعت إلى المعاش ، بعد أن قبض عليه بضعة أيام . فرجا أحمد طلعت الرئيس على ماهر أن يبقيه فى أية وظيفة . وكانت حجته فى ذلك أنه سيقتل لو نزع منه الثوب الرسمى .

كل العلاقات بيننا وبين المستعمرين . فلم يكن من السهل إذن مواجهة الرأى العام بعودة عمرو إلى لندن واستئناف عمله من جديد .

وكان لدى على ماهر مبرر آخر لعدم عودة عمرو . كان يريد أن ينتظر حتى يجتمع بالسفير البريطانى فى مصر ويبدأ معه محادثاته. وعلى ضوء ذلك يقرر عودة عمرو أو استمرار بقائه فى مصر .

وطلب فاروق أن يكون عبد الفتاح عمرو عضوا فى بعثة التعزية الملكية فى وفاة الملك جورج إلى انجلترا .وقد تألفت هذه البعثة برياسة الأمير عبد المنعم . وعضوية عمرو والملحق الجوى .

واقترح على ماهر أن يسافر ثروت سفير مصر فى باريس عضوا فى هذه البعثة بدلا من عمرو . وأيد رأيه بسابقة دبلوماسية .

ورفض الملك اقتراح رئيس الوزراء . وصمم على سفر عبد الفتاح عمرو .

وعندما عرض على ماهر هذا الموضوع على مجلس الوزراء اكتفى بأن قال :

« أن بعثة التعزية فى وفاة ملك انجلترا هى بعثة ملكية . وقد تقرر أن تؤلف برياسة الأمير عبد المنعم وعضوية عبد الفتاح عمرو والملحق الجوى . وكان عندى فكرة أن يسافر ثروث بك

سفيرنا فى باريس لأن هناك سابقة بذلك . ولـكن . . دى بعثة ملـكية مش حكومية » .

الأزمة الخامسة

إنها الأزمة الـكبرى التى واجهت وزارة على ماهر منذ اليوم الأول لتوليه الحـكم ..

لقد قرر على ماهر أن يبدأ حكمه بمهادنة حزب الوفد .

كان الوفد صاحب الغالبية فى البرلمان .

وكان الشعب متحمساً لإلغاء المعاهدة .

وقد شعر على ماهر ، ثم تأكد ، أن كل من فى القصر يعملون على إخراجه من الحـكم ، اعتماداً على كراهية فاروق له .. وكان رجال القصر والحاشية منقسمين فى تفـكيرهم ، متضاربين فى مناوراتهم . حافظ عفيفى وحسن يوسف يؤيدان تولى نجيب الهلالى للوزارة . كريم ثابت يعمل لحساب عودة حسين سرى إلى الحـكم . إلياس إندراوس يريد أن يسير مع الـكفة الراجحة ولـكنه يعمل على إخراج على ماهر .

وطولب على ماهر بحل البرلمان الوفدى .

وطولب بأن يبدأ حركة تطهير فى حزب الوفد وبأن يقدم مستغلى النفوذ للمحاكمة .

وكانت المشكلة الكبرى أمام على ماهر . هى البدء فى مفاوضات مع بريطانيا لحل المسألة الخارجية . . إن جلاء الإنجليز هى المسألة الأولى التى يجب أن يوجه إليها كل قواه . . ولذلك قرر على ماهر أن يهادن الوفد .

أراد أن يبدأ المفاوضات وظهره محمى ببرلمان الوفد . .

وقد توجه على ماهر لزيارة مصطفى النحاس فى منزله فى صباح اليوم التالى لتوليه الوزارة . .

وكانت زيارته للمجاملة وجس النبض . وصرح النحاس عقب هذه الزيارة بأن البرلمان الوفدى سيمنح الثقة للوزارة الجديدة . وأعلن أن البرلمان الوفدى سيجتمع فى المساء لمنح ثقته لوزارة على ماهر .

وتردد فى ذلك الوقت أن مصطفى النحاس اقتنع من مستشاريه بأن هذا القرار هو أبلغ رد اعتبار له بعد إقالته . . أنه هو الذى يساند الوزارة الجديدة . . ونسبت هذه الفكرة إلى كريم ثابت . وقيل أنه زار النحاس فى ساعة مبكرة من الصباح . وهدفه من ذلك زعزعة مركز الوزارة . ووضعها تحت رحمة الوفد . وتأجيل فكرة حل البرلمان . وكل ذلك يمكن أن يعجل بنهاية وزارة على ماهر . .

وقوبل على ماهر فى البرلمان بعاصفة عنيفة من التصفيق والتأييد والتهليل . . وقابل على ماهر الغالبية الوفدية بعاصفة من الشكر والعرفان بالجميل . . وأعلن أن ماحدث يوم ٢٦ يناير بالقاهرة من الاضطراب الإدارى قد يحدث مثله فى أية ناحية من بلاد العالم ووصف حكومة الوفد المعفاة من الحكم . بأنها حكومة « سلفه العظيم مصطفى النحاس . » .

* * *

وكان الإخلاص أبعد شىء عن تأييد الوفديين لعلى ماهر . وكانت الثقة أبعد الأشياء عن مهادنة على ماهر للوفد .

وبدت مظاهر هذه الحرب الباردة أوضح ما تكون فى الجلسة التالية لمجلس النواب والشيوخ التى طلب فيها على ماهر مد أجل الأحكام العرفية ثلاثة أشهر . لقد بدت النوايا الحقيقية لأعضاء الهيئة الوفدية البرلمانية تجاه حكومة على ماهر عندما عارضوه فى قسوة وعنف . . وفى تلك الليلة قرر على ماهر أن يحتاط للأمر باستصدار مرسوم بحل البرلمان .

وخشى مصطفى النحاس هذه النتيجة . .

فاتصل فؤاد سراج الدين تليفونياً بعد الجلسة مباشرة بكل من الوزيرين محمد على رشدى وإبراهيم عبد الوهاب .

وكانا فى عشاء خاص فى منزل أحد الأقارب . ثم أمسك مصطفى النحاس سماعة التليفون وتحدث إلى إبراهيم عبد الوهاب وقال له صارخاً : — اسمع يا إبراهيم بك — بلغ على باشا أنى موش موافق أبداً على اللى عملوه النواب هذه الليلة فى البرلمان . موش موافق أبداً . بلغه أننى أؤيده من كل قلبى . وتعاون يعنى تعاون . وكل اللى عاوزه على ماهر حيمشى فى البرلمان . ضرورى يمشى . وأنا عند كلمتى .

وأبلغ إبراهيم عبد الوهاب نص هذا الحديث إلى على ماهر الذى استراح لهذه النتيجة . ولكنه كان على حذر . فهو أعرف بمناورات السياسة . فاستصدر من الملك مرسوماً بحل مجلس النواب ولكنه تركه من غير تاريخ . لكى يعلنه فى الوقت المناسب .

ومن جهة أخرى كان على ماهر يعتقد أن فؤاد سراج الدين مرغم على قيادة كفة تأييد على ماهر ، لخشيته من إذاعة بيان النائب العام عن مسئوليته كوزير للداخلية عن حوادث ٢٦ يناير .

وكان رأى على ماهر قد استقر على أن يبقى البرلمان على وضعه شهراً واحداً ثم يقرر المجلسان تأجيل انعقادهما بعد ذلك لمدة شهر . وقد اتفق فى ذلك مع عبد السلام جمعة رئيس مجلس النواب وزكى العرابى رئيس مجلس الشيوخ .

وكان منتوياً أن يصدر مرسوم الحل بعد ذلك .

وبذلك يكسب أكثر من أربعة أشهر يكون خلالها قد وصل إلى حل مع الإنجليز فى القضية الوطنية . هذا إذا لم يضطر إلى إعلان مرسوم الحل حين تتأزم الأمور .

وكان حجته فى ذلك ، أن تأييد البرلمان لوزارته يعطيها قوة ضخمة فى مواجهة الإنجليز فهو ليس صاحب حزب ولا يضمن تأييد القصر .

ولكن سياسة على ماهر كانت من وجهة النظر المعارضة له ، ستؤدى إلى الفشل المحقق .

وأصحاب هذا النظر كانوا يبلغونه أن مصر لن تنال شيئاً من الإنجليز وهى فى وضع داخلى فاسد قوامه الرشوة والطغيان واستغلال النفوذ . وأن سياسة على ماهر أعطت الفرصة للوفد أن « يشم نفسه » وأن يعود إلى السيطرة الشعبية . وانقلبت الآية . وأصبح على ماهر رهن غضب الوفد أو رضائه .

كان المعارضون لعلى ماهر يطالبون بوجوب التطهير الداخلى حتى يمكن أن يتفاوض ممثلا بلداً نظيفاً قوياً .

وكان رد على ماهر على هذه الحجج أن قال :

— أن الفساد ليس فى الوفد فقط بل فى كل الأحزاب . وأن

معركة التطهير سوف تطول أمدها . . وتحتاج لكى تؤتى ثمرها إلى تعديل الدستور أيضاً . حتى يمكن محاكمة الوزراء السابقين . فستدخل البلاد إذن فى حرب طاحنة . وهى أحوج ما تكون إلى جمع شملها لمواجهة الغاصب .

ويمضى على ماهر قائلا :

ـ ثم شىء أهم من هذا كله . . كيف يمكن أن أحاكم لصوص الأحزاب وأترك لصوص القصر . . إن التطهير يجب أن يبدأ من فوق[1] .

---

(١) فى تلك الأيام التى دار فيها الجدل حول سياسة على ماهر زار مصر احد كبار الأمريكيين مبعوثا من مستر اتشيسون وزير الخارجية الأمريكية لكتابة تقرير عن الحالة فى مصر وقابل على ماهر وقابل نجيب الهلالى وعلمت أنه سجل فى تقريره أنه لا أمل للاستقرار فى مصر إلا إذا أنقذ القصر من رجال الحاشية . وتطهرت الإدارة الحكومية من الرشوة . وعوقب جميع اللصوص من السياسيين وغير السياسيين . وشرعت الحكومة فى تنفيذ برامج عنيفة للإصلاح الاجتماعى الذى يخفف من الفوارق الشاسعة بين الطبقة المتخمة اللاهية والطبقة الكادحة الساخطة . وأنه عندما يتم التطهير ويقضى على الفروق الاجتماعية سوف تضغط أمريكا على انجلترا لتجلو عن مصر . وستكون هذه الاصلاحات حصنا لا يقل قيمة عن قاعدة فايد . وقالت الدوائر السياسية أن أهمية هذا التقرير ترجع إلى أنه سيترتب عليه تحديد موقف أمريكا من علاقة مصر ببريطانيا بعد ٢٦ يناير .

وذهبت إلى على ماهر . وقابلته فى مكتبه بدار الرياسة وقلت له : هل علمت رفعتك آراء المبعوث الأمريكى ؟ فقال لى على ماهر : أنا فاهم أنت قصدك إيه . أنا الذى أرسم سياسة بلدى وليس الأمريكان أو الانجليز . فليقل المبعوث الأمريكى هذا ما يشاء . وستعرف البلاد غداً كيف أواجه الموقف .

وهكذا أمسك على ماهر زمام الأمور وهو مقتنع بتأجيل التطهير . حتى يكسب معركة التحرير .

وأبدى اثنان من الوزراء معارضتهما لهذه السياسة . . وهما مرتضى المراغى وزير الداخلية وزكى عبد المتعال وزير المالية .

وكان هـذان الوزيران متهمين بأنهما يمثلان القصر . . أو بالأحرى وجهة نظر حافظ عفيفى الذى كان يرى أسناد الوزارة إلى نجيب الهلالى .

وبدأت العلاقات تتعثر بين الوزيرين وبين على ماهر . .

لقد أعلنا تذمرهما من دعوة على ماهر لهما ولـكل الوزراء ظهر كل يوم وسؤالهم عن أعمال وزاراتهم . لقد أبديا أن فى ذلك تدخلا من على ماهر فى اختصاص كل وزير وإضاعة لوقت الوزراء وإظهارهم أمام الرأى العام بمظهر السكرتيريين لعلى ماهر . .

واتهم على ماهر مرتضى المراغى بأنه استقبـل محمد حسن شماشرجى الملك فى مكتبه بالوزارة ساعتين كان المـكتب خلالهما مضاء بالنور الأحمر . .

وأنكر المراغى هذا الاتهام . . وقال أنه قابله خمس دقائق فقط .

واتهم على ماهر مرتضى المراغى مرة أخرى بأن هناك حوادث حريق فى جامعة فاروق وهو لايعلم عنها شيئاً كوزير للداخلية .

وقابل مرتضى المراغى على ماهر وأبلغه أنه اتصل بالأسكندرية وعرف أنها إشاعات ولم تحدث حرائق فى الجامعة . .

وطالب زكى عبد المتعال رئيس الوزراء بإعلان مرسوم حل البرلمان . . ورفض على ماهر . .

وكان مؤمناً بأن مفاوضاته مع السفير البريطانى ستنتهى إلى النجاح .

وحدد موعداً لمقابلة السفير البريطانى فى الساعة التاسعة من صباح السبت ٢٩ فبراير فى دار وزارة الخارجية لبدء المفاوضات .

واتصل القصر بالسفارة البريطانية وأبلغها أن فاروق قرر تغيير وزارة على ماهر . وطلب من السفير البريطانى أن يعتذر عن عدم الوفاء بموعده مع على ماهر وكان على ماهر لا يدرى شيئاً . .

وكان لا يعلم أن اتصالات جرت فعلا من وراء ظهره مع نجيب الهلالى لكى يؤلف الوزارة خلال أسبوع على الأكثر . فقد بدأ الاتصال الإيجابى مع الهلالى يوم السبت ٢١ فبراير وبدأ الهلالى يتشاور سراً مع مرشحيه للوزارة .

وعلمت بقصة هذه الاتصالات . .

وأسرعت إلى إبراهيم عبد الوهاب وزير الدولة وقلت له أن القصر يدبر مؤامرة لإخراج على ماهر بعد أيام . . لماذا لا تقترح عليه أن يقابل الملك ليناقشه ويقنعه . .

فقال لى إبراهيم عبدالوهاب فى استنكار واضح : هل تصدق ؟ . هل تتصور أن على ماهر لم يقابل الملك منذ تأليف الوزارة ؟ . . وقد طلب المقابلة أكثر من مرة ولم يجب عليه حتى الآن . .

قلت : ولـكن الوزارة ستطير . .

فقال فى عدم اكتراث : طظ . . يعنى حيجيبوا مين غيرنا يواجه هذا البلاء . . ومن أصلح لهذا البلد من على ماهر . . ؟ .

***

وأراد القصر بمعاونة مرتضى المراغى أن يضع على ماهر أمام الأمر الواقع . . أراد أن يبطل الهدنة بينه وبين الوفد على الرغم منه . وبطريقة ما . . قدم مرتضى المراغى مرسوم حل البرلمان إلى الصحف لـكى ينشر فى صباح السبت ٢٩ فبراير . .

وبذلك يضرب على ماهر بحجرين فى وقت واحد . .

اعتذار السفير البريطانى عن عدم الاجتماع به .

وإجباره على حل البرلمان الوفدى . . .

وعلم ادجار جلاد صاحب « الزمان » و « الجورنال ديجيبت » أن جميع الصحف ستنشر فى الصباح التالى مرسوم حل البرلمان . . فاتصل بعد منتصف الليـل بسعد اللبان وزير الأوقاف وأبلغه ما حدث . .

واتصل سعد اللبان بإبراهيم عبد الوهاب فى منزله . .

وحاول إبراهيم عبد الوهاب عبثاً أن يتصل بمرتضى المراغى وزير الداخلية والرقيب العام على النشر ليطلب منه منع نشر الخبر . . . وعثر عليه فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل .

إبراهيم عبد الوهاب — يا مرتضى . . الجرائد بكرة حتنشر خبر حل البرلمان . .

مرتضى المراغى — وماله . . فيها إيه ؟ .

إبراهيم عبد الوهاب — يا مرتضى . . أرجوك . . امنع نشر هذا الخبر . . لأنك تعرف أن على باشا لا يريد إذاعته الآن . .

مرتضى المراغى — الخبر صحيح . . وأنا أتحمل مسئولية نشره كوزير للداخلية . .

إبراهيم عبد الوهاب — الباشا سيفاجأ بنشر الخبر . .

مرتضى المراغى — خليه يكلمنى .

ولم يستطع إبراهيم عبد الوهاب أن يوقظ على ماهر فى هذه الساعة المتأخرة من الليل .

واتصل بسعد اللبان وأبلغه تفصيلات حديثه مع مرتضى المراغى . . .

وفوجىء على ماهر فى الصباح بما لم يكن فى حسابه . .

وفوجىء أيضاً بأن السفير البريطانى اعتذر عن عدم إمكانه الإجتماع به لمرض طارىء . .

فتأكد على ماهر أنها علامات الساعة .

وطلب الوزراء إلى اجتماع عاجل فى الساعة التاسعة من الصباح .

ودار فى مجلس الوزراء حوار خطير . .

على ماهر — سنكذب خبر حل البرلمان . .

المراغى — الخبر صحيح فكيف نكذبه . .

زكى عبد المتعال — لقد صدر المرسوم فعلاً ويجب حل البرلمان . .

على ماهر — حل البرلمان مشروط بشرط . . والخبر غير صحيح من هذه الناحية . .

المراغى — لقد صدر مرسوم بحل البرلمان ووافق مجلس الوزراء على ذلك . .

زكى عبد المتعال — إذا كذب الخبر فأنا أستقيل . .

المراغى — وأنا أيضاً . .

إبراهيم عبد الوهاب — يا جماعة إحنا عمرنا ما اختلفنا . . الحل بسيط . . نعرض المسألة على المجلس ونأخذ الأصوات . ونخضع جميعاً لرأى الأغلبية . .

على ماهر — أنا أتمسك ببقاء مرتضى وزكى فهما فى مقام أبنائى والوزارة لا تستمر من غيرهما .

وترك على ماهر الاجتماع ليقابل حافظ عفيفى فى حجرة مجاورة .

* * *

وبعد أن انصرف حافظ عفيفى . قرر على ماهر أن يقابل الملك .

واتصل بحافظ عفيفى تليفونياً . وقال له أنه يطلب مقابلة جلالة الملك .

حافظ عفيفى — سأتصل بك بعد لحظات . .

ثم دق جرس التليفون .

حافظ عفيفى — جلالة الملك يقول لك أن تبلغنى ما تريد ابلاغه له . .

على ماهر — يعنى رئيس الوزراء لا يستطيع أن يقابل الملك . أبلغ جلالته أننى أطلب مقابلته لأقدم له استقالتى . .

حافظ عفيفى — سأتصل بك بعد لحظات . .

ثم دق جرس التليفون . .

حافظ عفيفى — جلالة الملك يقول لك . . الأمر متروك لك . .

على ماهر — أنا قادم فوراً لأسلمك الاستقالة . .

* * *

وبعد لحظات كان على ماهر وإبراهيم عبد الوهاب بالأسكندرية . مابدين .

مرق على ماهر إلى مكتب حافظ عفيفى . . وبعد ثوان خاطفة . غادر على ماهر مكتب رئيس الديوان الملكى . .

دخل على ماهر مكتب حافظ عفيفى . . وكان يجلس إلى جواره حسن يوسف فوقفا لتحيته . . .

وحياهما وهو يضع مظروف الاستقالة على المكتب . وقال : هذه هى الاستقالة . .

وانصرف دون أن يجلس .

حافظ عفيفى — اتفضل استريح يا باشا . .

على ماهر — لا . . متشكر . .

وعاد على ماهر إلى منزله . . ومرت سيارة أمام المنزل بها سكرتير زكى عبد المتعال الذى كان يحمل مظروفين فيهما كتابا استقالة زكى عبد المتعال ومرتضى المراغى . . وفتح على ماهر المظروفين . .

وقرأ الاستقالتين وقال : معلهش يا سيدى . . أدينا كلنا استقلنا . .

الفصل الثالث

كيف تألفت وزارة نجيب الهلالى الأولى ؟

كان نجيب الهلالى يتوقع دعوته لتأليف الوزارة قبل أن يلغى مصطفى النحاس المعاهدة .

وبعد أن عاد فاروق من كابرى وتأخر أربعة أيام فى مقابلة النحاس ، ارتفعت أسهم نجيب الهلالى . وكان قد أدلى بحديث إلى كامل الشناوى نشر فى « الأهرام » هاجم فيه الوفد وكان لا يزال عضواً فيه . وكان يطالب بالتطهير .

ولكن اتصالات القصر به شابتها السرية الكاملة .

وقد زرته قبل عودة الملك من كابرى ، فى منزله بالأسكندرية . زرته مع مصطفى أمين . .

وبعد هذه الزيارة تأكدنا أن الهلالى يستعد لرياسة الوزارة .

الهلالى : وما مدى نفوذ كريم ثابت الآن ؟ .

مصطفى أمين : ستعلن استقالته من القصر بعد يومين .

الهلالى : هل معنى هذا أن نفوذه تقلص ؟ .

مصطفى أمين : لا . . فهو ذكى نادر الذكاء . وهو يستطيع أن يسترد نفوذه فى أى وقت شاء . وهو قد استقال لأنه شعر أن السفينة كلها على وشك الغرق . . ولكن الحرب يا باشا ستكون عنيفة جداً . أن القصر ملىء بالعناصر الفاسدة . . وهى ترى أن الفساد الموجود فى الحكم هو حليفها الطبيعى . ولايمكن أن توافق على حكم نظيف إلا مضطرة ومرغمة .

الهلالى : وحسن يوسف ؟ .

مصطفى أمين : لا يستطيع أن يكسب المعركة . سلاحه الوحيد أنه رجل نزيه . وهو أضعف سلاح فى قصر الملك . .

الهلالى : الموقف مظلم جداً . . وقد وصلنا إلى الانحلال والإجرام . سيقدم المجرمون على إلغاء المعاهدة بدافع قذر هو تغطية الفساد . . المسألة الأولى الآن هى تنظيف القصر .

مصطفى أمين : إننا الآن كرجل اجتمع فى جسده المفتت مائة مرض خطير ، واحد منها كفيل بقتله .

الهلالى : ولكننى متفائل . فالرغبة فى الحياة قد تنتصر على الموت . .

مصطفى أمين : وهل استشارك أحد فى الموقف ؟ .

الهلالى : (يحاول أن يهرب من الجواب بتوجيه سؤال) وما هو موقف حافظ عفيفى ؟ .

مصطفى أمين : معلوماتى أنه استشير فى الموقف . وأبلغ أن هناك اتجاها إلى اختياره رئيساً للديوان . .

الهلالى — وماذا كان جوابه ؟ .

مصطفى أمين — لم يرفض ولم يقبل . .

الهلالى — هذا هو ما يجب أن يفعله رجل السياسة . لا يفتح الباب ولا يقفله . بل يتركه « مواربا » وينتظر فالأمور مرهونة بأوقاتها . وهذه طريقتى . .

مصطفى أمين — (مبتسما) لقد فهمت . .

واكتفى الهلالى بأن رد على الإبتسامة بابتسامة . .

وانتهت الزيارة . وخرجت مع مصطفى أمين ، وسأل أحدنا الآخر فى صوت واحد :

— ما رأيك ؟ ؟ .

وأجبنا فى لحظة واحدة . .

— نجيب الهلالى هو رئيس الوزراء الجديد .

موقف إبراهيم عبد الهادى

وراج هذا التكهن فى الأوساط السياسية على نطاق ضيق . وعلم به إبراهيم عبد الهادى . وراج أيضاً أن الوزير الأول فى وزارة الهلالى سيكون الدكتور أحمد حسين . وأرسل إبراهيم عبد الهادى رسولا إلى نجيب الهلالى يطلب إليه أن يجتمعا . وكانت رسالة إبراهيم عبد الهادى : « أن الشىء الطبيعى الآن أن يتعاون الهلالى مع القوى النظيفة لمحاربة الفساد . ويجب أن تكون هذه القوى على نور وبينة حتى يجدى تعاونها فى الوقت المناسب . وإلا أخذتنا المفاجأة . ولذلك فإنه يرى من الصالح أن يقابل الهلالى . وإذا شاء بالزيارة وإذا شاء زرته . وإذا أراد مكاناً آخر نلتقى فيه ، كما يختار »

كما طلب إبراهيم عبد الهادى أن يجتمع بالدكتور أحمد حسين .

واعتذر الدكتور أحمد حسين قائلا للرسول « لا يا عم . . مالناش دعوة بإبراهيم عبد الهادى ، هوه رجل مهذب . ولكنه ليس رجل هذه الساعة . لقد أضرته رياسة الديوان الملكى . وقد اكتشفت أنا بنفسى أنه كان يجهل كل شىء عن الأوراق والتقارير

التى ترفع للملك . لقد صدر مرسوم تعيينى وكيلا لوزارة الشئون الاجتماعية . وأبلغ به إبراهيم عبد الهادى رئيس الديوان بعد أن وقعه الملك » .

ولما قيل للدكتور أحمد حسين : ولكن يكفى الآن العريضة التى قذفوا بها فى وجه الملك عن تدخل الوسطاء ورجال الحاشية .

أجاب : سيلحسوها .. وسترى .. وما كان من الأول .

* * *

أما نجيب الهلالى فقد اعتذر هو الآخر عن عدم الاجتماع بابراهيم عبد الهادى . وقال بأسلوب دبلوماسى متئد « إبراهيم عبد الهادى رجل طيب وصديق .. وأنا يسرنى طبعا أن أراه . وستأتى الظروف التى تجمعنا . وطبيعى إذا حدث شىء ، فإن حسن السياسة يقتضى أن يتشاور الجميع فى مشكلة البلاد الخارجية . فالقضية الوطنية وهذا رأيى دائما ليست ملكا لمصرى دون مصرى . ويجب أن نعرف أولا الأرض التى ستحددها الأحداث لنتكلم فى الوقوف عليها .. »

ثم أضاف الهلالى : وعلى كل فهى مسألة أيام .. أيام قليلة .. والعجلة من الشيطان ..

وتكلم الهلالى عن أزمة العريضة التى اشترك إبراهيم عبد الهادى

فى توقيعها . . وأنها جعلت إبراهيم عبد الهادى موضع غضب القصر . . مما لا يحسن معه الاجتماع به الآن قبل أن تتضح الأمور . .

وهكذا كان مفهوما أن الاتجاه هو أن يؤلف نجيب الهلالى الوزارة الجديدة . وأنه كان لا يريد أن يتصل بأحد غير خاصة خلصائه . أو يتفق على أى وضع قبل أن تتحدد أرض الموقف بعودة الملك من كابرى .

فكرة لم تنفذ

ولما عاد الملك . وقابل مصطفى النحاس . وأدلى النحاس بتصريح كله غزل فى وطنية الملك وسداد رأيه . . تأكد لدى نجيب الهلالى أن النحاس باق . وأنه سيعلن إلغاء المعاهدة وتبدد كل أمل فى أن يترك النحاس الحكم .

واجتمع الدكتور أحمد حسين بصهره الدكتور سيد شكرى[1] . وأخذا يفكران فى وسيلة لإنقاذ الموقف . .

أحمد حسين : إن حكومة الفساد تريد تغطية الجسد المريض

(١) أصبح الدكتور سيد شكرى وزيراً للصحة فى وزارة الهلالى التى استمرت ساعات قبل اندلاع الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

القذر بثوب أبيض جميل يخدع هذا الشعب الجائع . . هذا الشعب الذى ينسى كل شىء ليحارب الاستعمار .

سيد شكرى : اسمع يا أحمد . . أنا عارف مصطفى النحاس كويس . منذ كنا أعضاء فى نادى المدارس العليا . . وتركته عند ما بدأ الدجل والشعوذة . الحل الوحيد هو أن تقال وزارة النحاس فورا ويدعى نجيب الهلالى إلى تأليف وزارة جديدة . بعناصر نظيفة لها ماضيها الوطنى المشرف . وتعلن الوزارة الجديدة يوم تأليفها إلغاء المعاهدة . وبهذا يفقد الوفد كل عناصر بقائه ويتحقق للشعب حلمه فى حرب المستعمر . .

* * *

وفى ظهر اليوم التالى كان على مائدة الدكتور أحمد حسين فى كابينة على شاطىء سيدى بشر ، عبد الفتاح عمرو سفير مصر فى لندن وحسن يوسف وكيل الديوان . . وكانت الفكرة الجديدة هى موضع البحث . .

وانتهى الاجتماع بوعدهما أن يحاولا . . وأن يفكرا . .

ويبدو أنهما لم يهضما الفكرة . .

وتعاقبت الأحداث . .

ألغى مصطفى النحاس المعاهدة فى ٨ أكتوبر سنة ١٩٥١ .

ثم وقع حريق القاهرة فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ وكان المفروض أن يقبل الهلالى رياسة الوزارة على الفور . ولكن حافظ عفيفى فوجىء بأنه يرفض . وبأنه يقترح على ماهر لتولى الوزارة .

وتولى على ماهر الوزارة . . وتعرض للأزمات التى فصلتها من من قبل . . واتصل حافظ عفيفى يوم ٢١ مارس بنجيب الهلالى وطلب إليه أن يستعد لتأليف الوزارة . . وأجرى الهلالى اتصالاته سراً . . واستقال على ماهر يوم ٢٨ مارس . . وتولى الهلالى الوزارة الجديدة .

والسؤال الآن ؟ . .

لماذا اعتذر الهلالى عن عدم تأليف الوزارة يوم ٢٦ يناير على الرغم من الاتفاق السابق معه ؟

ولماذا قبلها يوم ٢٨ مارس ؟ . .

* * *

لقد حاولت أن أعرف ذلك من الهلالى نفسه . وقد زرته مع جلال الدين الحمامصى فى مكتبه بميدان مصطفى كامل يوم علمت أنه بدأ يجرى اتصالاته سراً لتأليف الوزارة الجديدة أى يوم ٢١ مارس . . .

الهلالى — لقد وصلنا إلى الدرك الأسفل . . والمهمة كما قلت وما زلت أقول شاقة وعسيرة ومضنية . .

الحمامصى — يجب الضرب بيد من حديد على المفسدين وعصابة اللصوص . .

الهلالى — لقد كنت أقرأ منذ أيام فى كتاب أجنبى عالج فيه كاتبه انتشار الرشوة والفساد فى بلده وقال أن مبدأ « البقشيش » أصبح معترفاً به من رئيس وزراء ذلك البلد . . وهذا هو حالنا .

الحمامصى — العلاج السريع الحاسم يا باشا وإلا الفوضى . .

الهلالى — نحن الآن فى فوضى . . لقد قدمت أنا على ماهر على نفسى . . وكنا تقابلنا مرة وتناقشنا فى شئون البلد . ووجدته متفقاً معى فى كل آرائى .. ولكننى أفاجأ الآن بعدوله عن آرائه .

فقلت — على ماهر يقول أن التطهير من الفساد ليس أمراً سهلا . . وهو يحتاج إلى وقت طويل والمهم أن ننتهى أولا من المسألة الخارجية . .

الهلالى — التطهير من البلاد أمر بسيط وسهل . . والوثائق والمستندات موجودة . وهناك اتهامات واضحة للعيان وتناولتها الصحف وقدمت أدلتها . . وهناك شكاوى لدى شركات ضد أشخاص معروفين بتهم دامغة ثابتة . . والمهم أن يعاقب عدد محدود قليل من الأشخاص ليكونوا عبرة لغيرهم .

وأضاف نجيب الهلالى إلى ذلك قوله :

— وكيف ننجح فى قضيتنا الخارجية ونحن ملطخون ؟ . . ليست لدينا قوة مادية نلزم بها الغاصب أن يخضع لمطالبنا الخارجية أنها حق نطلبه ونسعى إلى تحقيقه . فكيف أطلب حقاً من الأجنبى والحق داخل بلادى مهضوم . .

وهنا سألته :

— إذا كان هذا رأيك . . فلماذا رفضت يا باشا الوزارة يوم ٢٦ يناير ؟ . . إذا كنت قدمت على ماهر . فأنت إذن المسئول عن فشل سياسته ، فليس معقولا إلا تنفذ أنت إلى أغوار أعماق على ماهر . .

فضحك الهلالى وقال :

— أنا حقيقة مسئول ولكن كانت لها ظروف . .

ولم تكن هذه الظروف سراً على المحيطين بنجيب الهلالى . . ولكن الهلالى كعادته حريص على كتمان حتى ماليس سراً . .

فعندما زاره حافظ عفيفى مساء ٢٦ يناير ، فوجىء الهلالى ، بأن العارض للوزارة لم يكن حافظ عفيفى فقط . لم يكن رئيس الديوان هو المسئول وحده . بل كان معه أيضاً إلياس أندراوس فاعتذر الهلالى ، وأسرف فى الأطناب على وطنيـة على ماهر وسياسته الرشيدة .

واتصل الهلالى بعد ذلك بصديق مشترك . وطلب إليه أن يبلغ حافظ عفيفى أن هذا هو سبب رفضه للوزارة

وقال حافظ عفيفى أن إلياس أندراوس ذهب معه مصادفة .

* * *

هذا هو العذر الذى أبداه نجيب الهلالى ولـكننى أعتقد أنه ليس السبب الوحيد . فقد كان الهلالى مترددا إلى آخر لحظة ، عندما كانت الاتصالات تدور معه منذ الصيف . ولم يقطع بلا أو بنعم . وقد عرضت أيضاً رياسة الديوان الملـكى على نجيب الهلالى فاعتذر عن عدم قبول المنصب وقال أنه مستعد لأن يبدى الرأى إذا طلبت منه المشورة بصفة غير رسمية . .

ثم جاءت أحداث ٢٦ يناير وتطور الموقف إلى ما لم يكن فى الحسبان . ففضل الهلالى أن يطيل فترة انتظاره قريباً من خشبة المسرح . ليتفرج أولا على الفصل الأول من الرواية التى قد تطول فصولا . . .

لقد أراد الهلالى أن يواجه على ماهر التجربة قبله . . وبذلك يكون استعداده أقوى لتولى الوزارة بعده . .

ولم تطل تجربة على ماهر . .

وبدأت تجربة الهلالى . .

وكان متفائلا واثقاً من نفسه . ولـكنه فوجىء ليلة تأليف الوزارة بأقرب صديق إلى قلبه يواجهه بحقيقة مرة رهيبة . .

الفصل الرابع

لماذا فشلت وزارة الهلالى ؟

منتصف ليلة السبت ٢٩ فبراير سنة ١٩٥٢ . الأنوار مضاءة فى كل حجرة بدار رياسة مجلس الوزراء . عشرات الصحفيين مبعثرون فى الحديقة الكبيرة . وعند الباب . وعلى السلم . مصورون صحفيون من كل مكان. حرس الوزارات وصلاح الشاهد تشريفاتى الرياسة يغالبون النوم فى انتظار وصول رئيس الوزراء الجديد نجيب الهلالى . الجميع يتندرون . . ترى متى سنودع الرئيس الجديد ونستقبل الرئيس الذى بعده . .

ثم وصل نجيب الهلالى . وعن يمينه زكى عبد المتعال . وكانا حتى هذه الساعة المتأخرة فى منزل حافظ عفيفى بحدائق القبة .

واتصل الهلالى تليفونيا بالدكتور أحمد حسين وطلب إليه الحضور على الفور. وأرسل حرس الوزارات سيارة حكومية إلى منزل الدكتور أحمد حسين بسبب حظر التجول . وبعد لحظات التقى الرجلان . ثم وقعت المفاجأة . .

لقد اعتذر الدكتور أحمـــد حسين عن عدم الاشتراك فى الوزارة .

وفوجىء الهلالى بهذا الرفض الذى لم يكن يتوقعه على الإطلاق من الدكتور أحمد حسين بالذات . إنه منه فى مقام الإبن . وقد كان أقرب إلى ولى أمره فى حياة والده المرحوم على حسين (باشا) . فبعد أن عاد أحمد حسين من ألمانيا وحصل على الدكتوراه وفكر فى مستقبله العملى ، أحاله والده على صديقه نجيب الهلالى . وبعد أن استقال الدكتور أحمد حسين من وزارة الوفد بدأ اتصالا سياسيا وثيقا برائده نجيب الهلالى .

وقد فكر بعض مراقبى السياسة فى ذلك الوقت — صيف ١٩٥١ — فى أن يؤلف الهلالى حزبا ضخما من العناصر الوفدية السليمة — يكون أحمد حسين الوزير المستقيل سكرتيره العام .

وعند ما رفض الدكتور أحمد حسين الاشتراك فى وزارة على ماهر . كان يقول : أن رجل الموقف هو نجيب الهلالى .

وكان الدكتور أحمد حسين يعلم أن الهلالى هو الرئيس المقبل . وكان على اتفاق معه على الأسس التالية :

١ — أن يعلن الملك يوم تأليف الوزارة الجديدة طرد جميع رجال الحاشية .

٢ — ألا يتدخل الملك مطلقا فى اختيار الأشخاص للوزارة الجديدة أو فى عملها .

٣ — أن يكون بين الوزراء الأشخاص الذين شنوا الحملات الجريئة الشجاعة ضد الملك فى الصحف وفى البرلمان أمثال مصطفى مرعى ومحمود محمد محمود وعبد السلام الشاذلى .

٤ — أن يصدر الإنجليز إعلانا من جانب واحد بالجلاء والوحدة .

٥ — أن يكون برنامج الوزارة التطهير فى جميع الأحزاب .

وقد اقترح الدكتور أحمد حسين على نجيب الهلالى أن تسند وزارة الحربية إلى الفريق عزيز المصرى وذلك أثناء استعداد الهلالى لتأليف الوزارة قبل استقالة على ماهر . وكانت الفكرة

أن يدخل عزيز المصرى الوزارة كرمز لمكافح حارب الملك ، فطغى عليه فاروق وحاربه فى حريته ورزقه . ثم رؤى أن صحة عزيز المصرى فى ذلك الوقت لا تساعده على تحمل جهد المنصب الوزارى .

وهكذا كان مفهوما وبيقين ، أن الدكتور أحمد حسين وزير فى وزارة نجيب الهلالى .

ولهذا وضع نجيب الهلالى اسمه وزيرا للشئون الاجتماعية فى مرسوم تأليف الوزارة منذ الظهر ولم يتمكن من الاتصال به لأنه كان متغيبا عن القاهرة فى عزبة صهره الدكتور سيد شكرى فى بلدة « ميت يعيش » .

فسافرت إليه . وأبلغته النبأ وعدنا إلى القاهرة فى الساعة السابعة من المساء .

وكان كلما طال الوقت على استدعاء نجيب الهلالى له ، يتخبط بين مشاعر التفاؤل والتشاؤم .

وكان الصحفيون يتصلون به ويبلغونه أن الهلالى لا يزال فى منزل حافظ عفيفى وكانت الساعة قد جاوزت الحادية عشرة ، فيقول :

— عال . . لا بد أن الهلالى متشدد . . ليته يقول لا إلى النهاية ، ويرفض ، فيفيق هذا الملك المجنون ويعلم أن فى البلاد رجالا .

وجاءته الأنباء أن هناك طلبات عديدة من القصر صمم الملك عليها . وأن هناك اعتراضات على أسماء وزراء آخرين يريد أن يفرضهم الملك .

وفى هذه اللحظات بدأ الدكتور أحمد حسين يفكر فى رفض المنصب الوزارى . وبدأ يقول على أى سند ستعتمد الوزارة الجديدة ؟ . . الشعب . . مستحيل . أحزاب . . لا . . . على القصر فقط ومعنى هذا استحالة الإصلاح .

. . ثم وصلت سيارة من مجلس الوزراء إلى منزل الدكتور أحمد حسين . وركب السيارة وسأل ضابط البوليس الذى كان يقودها . .

— من هم أسماء الوزراء ؟

— فريد زعلوك ومحمود غزالى ومرتضى المراغى و زكى عبد المتعال .

وكان رأى الدكتور أحمد حسين ألا يشترك هؤلاء فى الوزارة الجديدة . .

ودخل أحمد حسين مكتب نجيب الهلالى ليقول له فى حياء الإبن : أرجو يا باشا أن تعتبرنى وزيراً ولكن بغير وزارة . .

وبهت الهلالى . فلم يكن يتصور أن الدكتور أحمد حسين هو الذى يتخلى عن معاونته فى أحرج اللحظات .

وصمت الإبن الخجول وقال : أنت منى فى منزلة الوالد . وأعتقد أننى لا أستطيع أن أشارك فى المسئولية بمنصب وزارى وأنا فى خدمتك من غير وزارة .

فقال الهلالى : اعلم أن هذه قطيعة بينى وبينك .

ثم خرج الدكتور أحمد حسين إلى غرفة الصالون الملحقة بمكتب رئيس الوزراء وكان وجه الهلالى ممتقعا فى ألم عظيم . .

وحضر حافظ عفيفى . وحاول عبثاً أن يقنع الدكتور أحمد حسين الذى كان لا يعلم تفصيلات ما جرى فى منزل رئيس الديوان . .

الاستقالة الأولى

لقد استقال نجيب الهلالى فى منزل حافظ عفيفى بعد أن قبل تأليف الوزارة بساعات وأصبح حافظ عفيفى فى حرج كبير . فهو الذى كان يمهد لنجيب الهلالى . وهو الذى كان يؤكد لفاروق فشل سياسة على ماهر . وكان عفيفى والهلالى متفقين فى كل شىء .

كان أول طلب لفاروق من نجيب الهلالى وهو يعد كتاب تأليف الوزارة أن يعين كامل القاويش نائباً عاما . .

فرفض الهلالى وثار . وارتدى معطفه الأسود وهم بمغادرة منزل حافظ عفيفى وهو يقول :

— مستحيل . . مش عاوز وزارة .. مستحيل . .

فطلب إليه أن يهدأ . . وأن يحاول التفاهم .

ولجأ حافظ عفيفى إلى الدكتور زكى عبد المتعال تلميذ الهلالى ، ليعاونه على إقناع الهلالى بالقبول . وصمم الهلالى على الرفض . .

وتوقف تأليف الوزارة أكثر من ثلاث ساعات . .

وبدأ فاروق يفكر فى رئيس وزارة آخر غير نجيب الهلالى . ثم انتهى الرأى إلى حل جزئى للأزمة . وهو أن يعين كامل القاويش وكيلا لوزارة الداخلية . وهو الحل الذى لم يقبله القصر فى وزارة على ماهر . .

فاروق يعترض

ثم اعترض فاروق على اسم محمود محمد محمود . فارتدى نجيب الهلالى معطفه من جديد وهم بمغادرة منزل حافظ عفيفى . .

فقيل لنجيب الهلالى . . إن الملك لم يعترض على أى اسم من وزرائك الذين اخترتهم فعلهش . . الاعتراض على اسم واحد .

وهدأت أعصاب الهلالى . .

ثم عرض اسم محمد نجيب وزيراً للحربية . فرفضه فاروق .

وقال نجيب الهلالى : لقد انتخب محمد نجيب رئيساً لمجلس

إدارة نادى الضباط . . فلا بد إذن أنه رجل محبوب من الضباط . ولذلك فإنى أرشحه وزيراً للحربية .

فقال له حافظ عفيفى : لقد اخترت فريد زعلوك ومحمود غزالى لأنك تعرفهما وتثق فيهما فهل تعرف محمد نجيب معرفة شخصية .

فقال الهلالى .. لا .. لا تربطنى به أى صلة شخصية .. ولكنى أعرف أن الجيش يثق فيه كممثل للإصلاح الجديد . .

فقال حافظ عفيفى : لا تجعلها أزمة . لأن الملك مصمم على الرفض .. ولتسند وزارة الحربية مؤقتاً الآن إلى مرتضى المراغى .. وبعد ذلك نمهد لدخول من تريده .

الهلالى يغير خطته

ولم يطلب الهلالى فى تلك الليلة طرد رجال الحاشية .

وكانت وجهة النظر التى نصح بها أن جنون فاروق أصبح فوق الاحتمال . وأنه مرآة لمن حوله . وقد تأثر برجال حاشيته حتى أصبح عبداً مطيعاً لشهواتهم . وهو غارق الآن إلى أذنيه تحت هذا التأثير . وليس من السياسة أن تفاجئه بأمر سيتصور أنه مستحيل . أنه لن يتصور أنه يستطيع الحياة من غيرهم . ولكن وجود حافظ عفيفى فى القصر . ووجود الهلالى فى الوزارة . سيؤلف معسكراً

نظيفاً . يتولى الملك تدريجياً بالنصح والتوجيه والإرشاد حتى يمكن الانتصار على المعسكر الملوث . .

قالوا للهلالى إنها معركة . معركة عنيفة قاسية . ويجب أن يدخل البيوت من أبوابها . قالوا له إذا رفضت الوزارة ، وأنت معقد الآمال فى التطهير ، فإن هناك عشرات من « الحمير » على استعداد لحمل « البردعة » .. إن « اسطبل » السياسة المصرية ملىء بعشرات المنتظرين لمقعد الرياسة . فلا تجعل الفرصة تفلت من يدك . . وكن أول رئيس وزارة فى مصر يتمسك بكل حقوقه الدستورية . ولكن انتظر حتى تتمكن . . ثم تضرب ضربتك . ولتكن ضربة معلم .

وكان الهلالى مطمئنا كل الاطمئنان إلى تعاون حافظ عفيفى معه . وكان يثق فى كفاءته ونزاهته وحسن نواياه فتخلى الهلالى عن طلب إقصاء رجال الحاشية . اكتفاء بأن تكون صلته برئيس الديوان فقط أو وكيله فى حالة غيابه . وفى أول جلسة لمجلس الوزراء ، طلب الهلالى إلى وزرائه أن يكون اتصالهم فيما يتعلق بشئون القصر بحافظ عفيفى أو حسن يوسف .

التعاون مع أحزاب الأقلية

ونعود . . إلى دار الرياسة بعد منتصف الليل . وبعد أن انصرف الدكتور أحمد حسين . .

لقد اتصل نجيب الهلالى بزعماء الأحزاب غيرالوفدية ، ليعرض عليهم الاشتراك فى الوزارة . فحضر إبراهيم عبد الهادى رئيس السعديين . وعرض عليه الهلالى أن يشترك بشخصه فى الوزارة كرئيس دولة . .

وفى وجود إبراهيم عبد الهادى اتصل الرئيس الجديد بحافظ رمضان والدكتور محمد حسين هيكل اللذين لم يتمكنا من الحضور فى تلك الليلة .

وقد قبل إبراهيم عبد الهادى فكرة الاشتراك فى الوزارة . ثم فشلت الفكرة . وقد حاولها الهلالى بعد شهرين من تأليف وزارته . وذلك لاعتراض الملك عليها .

والواقع أن مسعى الهلالى للأحزاب غير الوفدية للاشتراك معه فى الوزارة ، ثم إعلان كتاب تأليف الوزارة الذى هاجم فيه الفساد والرشوة ، وفوضى الحياة النيابية أعطى صورة لتطهير الهلالى على أن المقصود به هو حزب الوفد فقط .

وفى هذا اختلف عنه على ماهر . .

لقد عرض على ماهر على الأحزاب المعارضة للوفد أن تشترك معه فى وزارته ، فلما رفضوا هادن هو الوفد كما هادنهم . .

ماهو الضمان

ثم حضر كامل مرسى وزير العدل إلى دار الرياسة . وسأل نجيب الهلالى :

— ما هو الضمان للوزارة لعدم الإطاحة بها من القصر ؟

فأخرج الهلالى ورقة من جيبه وقال لكامل مرسى والورقة فى يده :

— هذا هو الضمان .

كامل مرسى — وما هو ؟

الهلالى — كتاب استقالتى .

لا تكشفى أمام الخدم :

وأذيعت مراسيم تأليف الوزارة . وأبلغ الوزراء الجدد أن موعد حلف اليمين بعد ظهر اليوم التالى . .

وذهب الوزراء مع رئيسهم إلى قصر عابدين . . وقيل للوزراء الجدد فى القصر ، أن زميلهم وزير الصحة قد سبقهم إلى الحضور بالملابس الرسمية .

وكان الوزراء يعلمون أن الدكتور إبراهيم شوقى قد اعتذر لنجيب الهلالى فى الليلة السابقة عن عدم قبول وزارة الصحة .

فاضطر الهلالى أن يعهد إلى راضى أبو سيف راضى وزير الشئون الاجتماعية بوزارة الصحة بالنيابة . .

ثم فوجىء الوزراء داخل القصر بمفاجأة أذهلتهم . .

كان وزير الصحة الجديد الذى سبقهم إلى القصر لحلف اليمين الدستورية هو الدكتور أحمد النقيب أحد محاسيب فاروق . .

فتأخر موعد حلف اليمين . .

واجتمع الهلالى بحافظ عفيفى أكثر من ساعة . وصمم الهلالى على عدم قبول النقيب وزيرا للصحة . ثم دعى الهلالى لمقابلة الملك . وقال فاروق لرئيس الوزراء الجديد :

فاروق : أنت ليه مش عاوز تأخذ الدكتور النقيب وزير صحة ؟

الهلالى : إننى اخترت الوزراء الذين أعرفهم شخصيا وأثق بهم . ولا أعرف النقيب ولا أثق به . .

فاروق : لكن أنا أعرفه وأثق به . .

الهلالى : إننى أعتقد إنه لنجاح الوزارة يجب أن تكون متجانسة . . ووجود وزير لا نعرفه فى مجلس الوزراء يمنع هذا التجانس . .

فاروق : مش فاهم . .

الهلالى : إن الوزارة تألفت لمهمة واحدة وهى التطهير . وقد

القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢

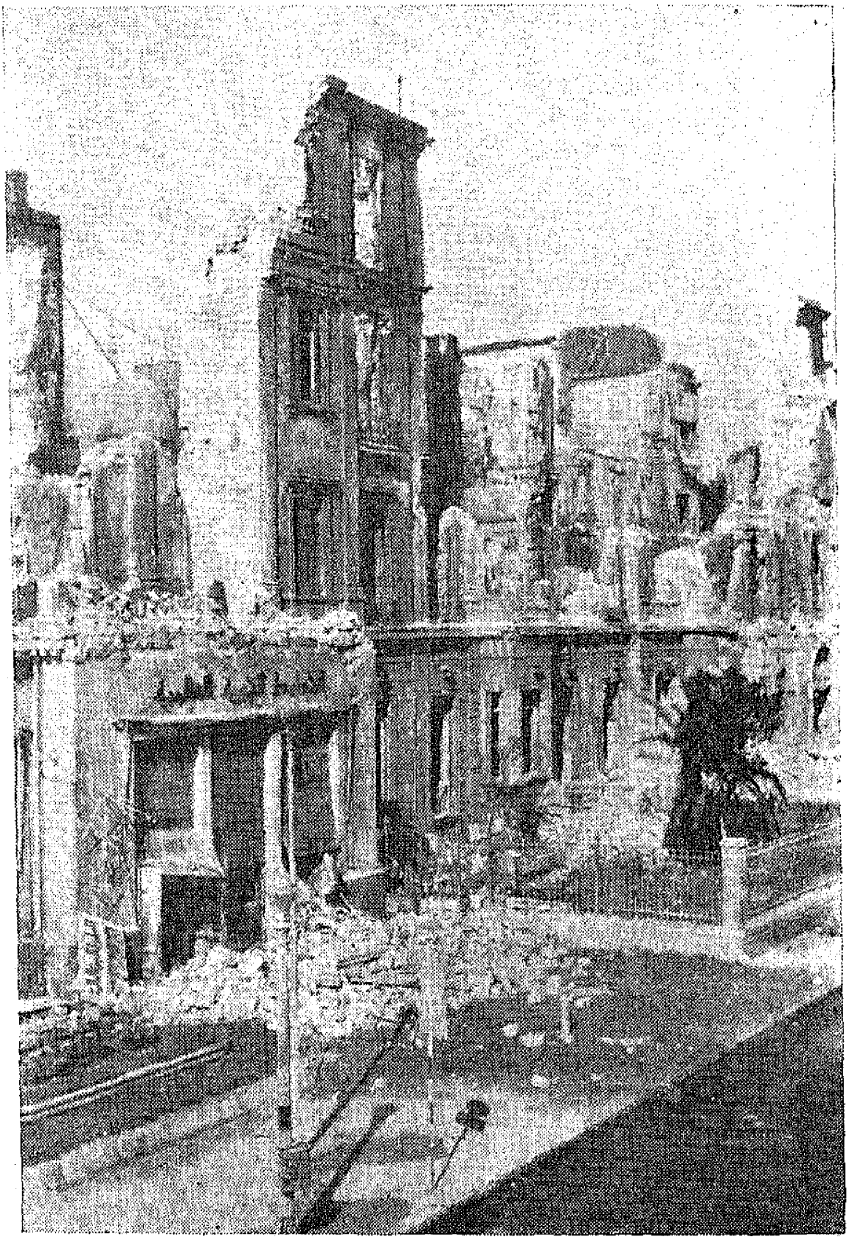

فندق شبرد بعد أن أصبح كومة من الأنقاض

القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢

المتاجر والشركات الأجنبية . . أكلتها النيران

القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢

الحرائق تشتعل فى مبنى سينما ريفولى والجماهير متجمعة

. . وكان الملك يلهو ويعبث

وكان فاروق يلهو ويعبث مع مستشاره إلياس أندراوس
فى ملاهى القاهرة والإسكندرية

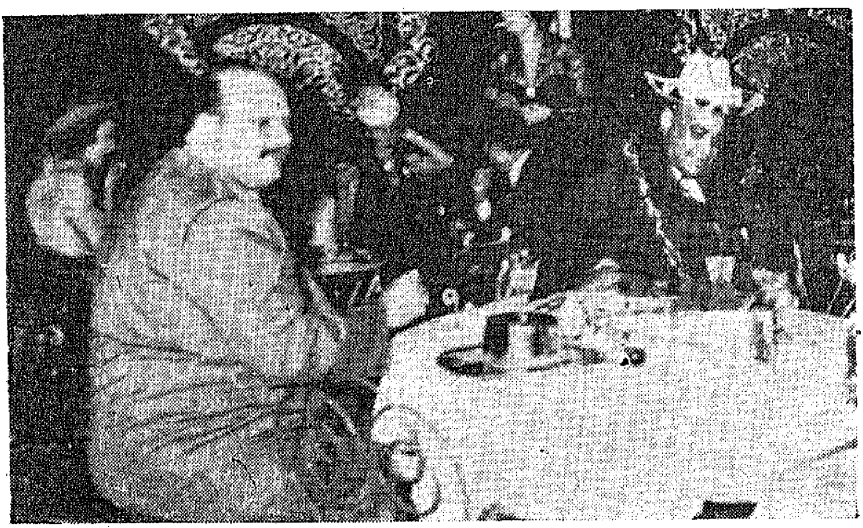

. . وألف على ماهر وزارته الأولى يوم ٢٧ يناير وبدأها بمهادنة حزب الوفد . فى الصورة على ماهر ومعه مصطفى النحاس وخلفهما إبراهيم عبد الوهاب أقرب الوزراء إلى على ماهر

وزارة على ماهر الأولى

وبدأ على ماهر العمل فى نشاط منذ الدقيقة الأولى التى كلف فيها بتشكيل الوزارة . .
ولم يكن يدرى ما تخبئه له مؤامرات القصر

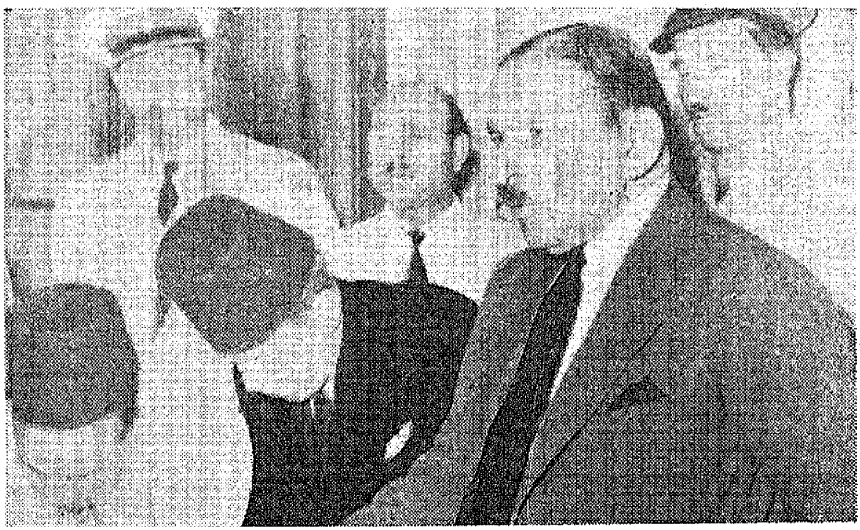

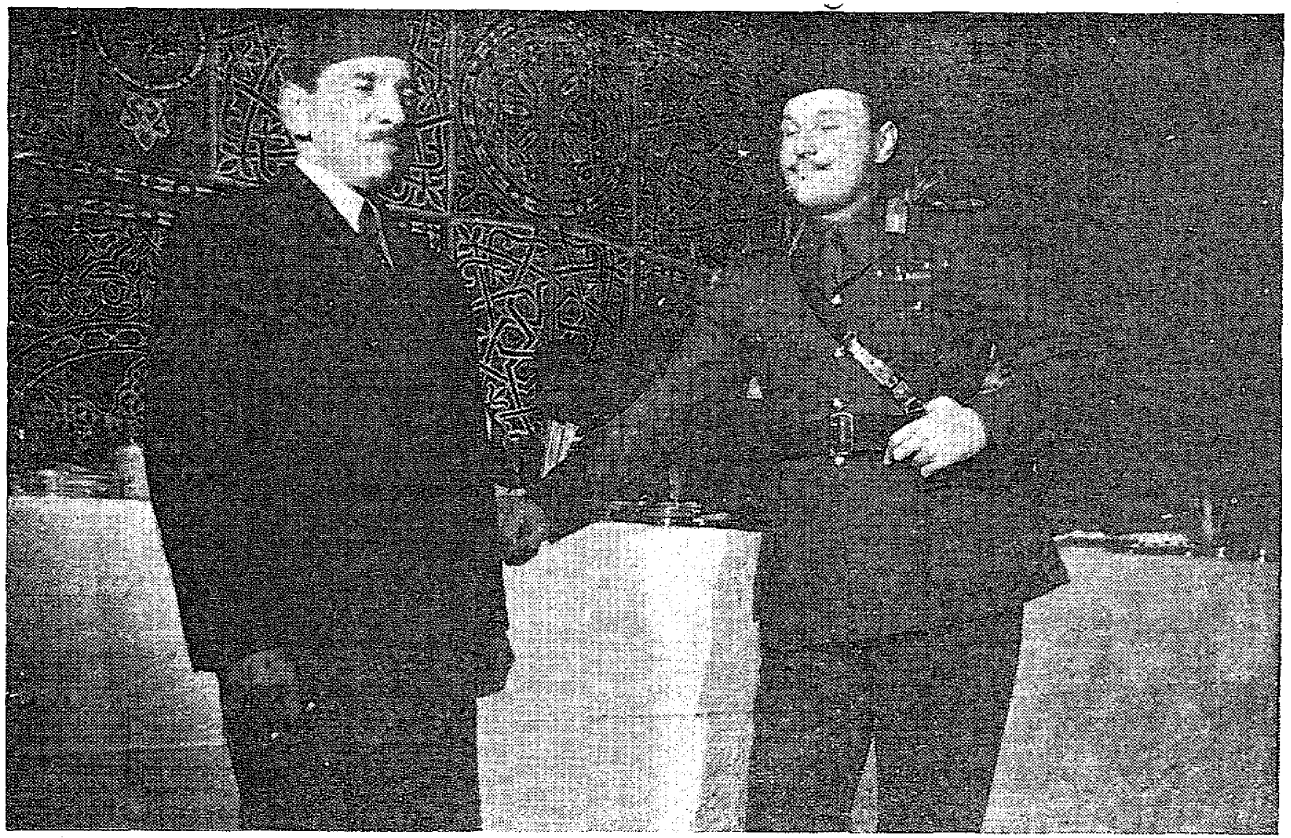

على ماهر فى الأيام الأولى من تولى فاروق العرش . . لقد شاء القدر ان يعمل على توليه العرش
وان يكون رئيس الحكومة التى يتنازل عن العرش فى وجودها

بدا نجيب الهلالى بالابتسامات . .

وبعد دقائق تحولت الإبتسامات إلى تفكير مؤلم فى الأزمات

وأن لابد من التفكير فى مخرج ٠ ٠ بعد قصة « الورد والشوك »

.. وبعد أن ثبت أن حافظ عفيفى لا يستطيع أن يفعل شيئا

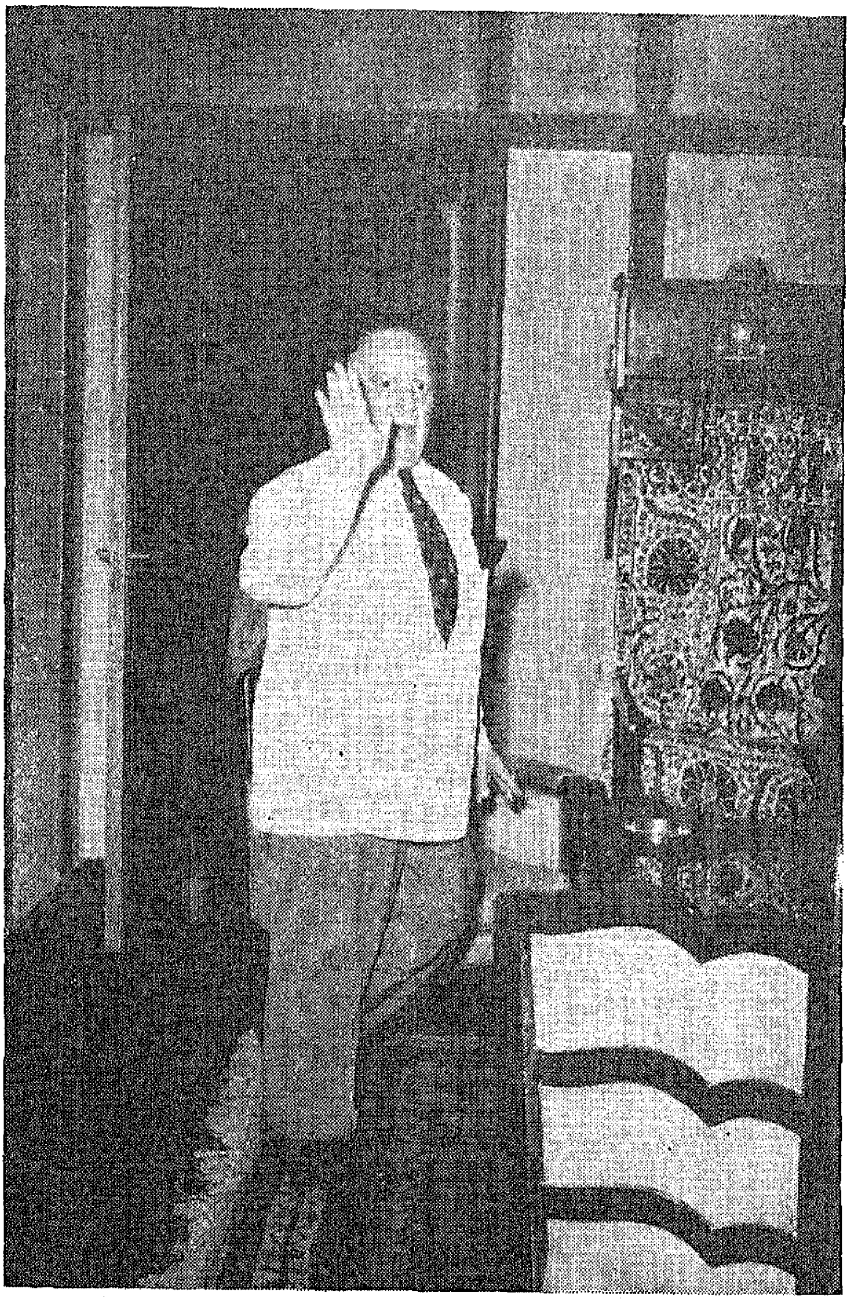

واستمرت مشاورات تأليف حسين سرى لوزارته أربعة أيام...
لم يترك فاروق خلالها مائدة القمار ...

ثم ألف حسين سرى الوزارة ودخل مكتبه فى بولـكلى
وعلى وجهه ابتسامة الواثق من نفسه !

وعاد نجيب الهلالى إلى الحكم متفائلا ليبقى فى الوزارة أقل من ٢٤ ساعة !

وزارة على ماهر الثانية

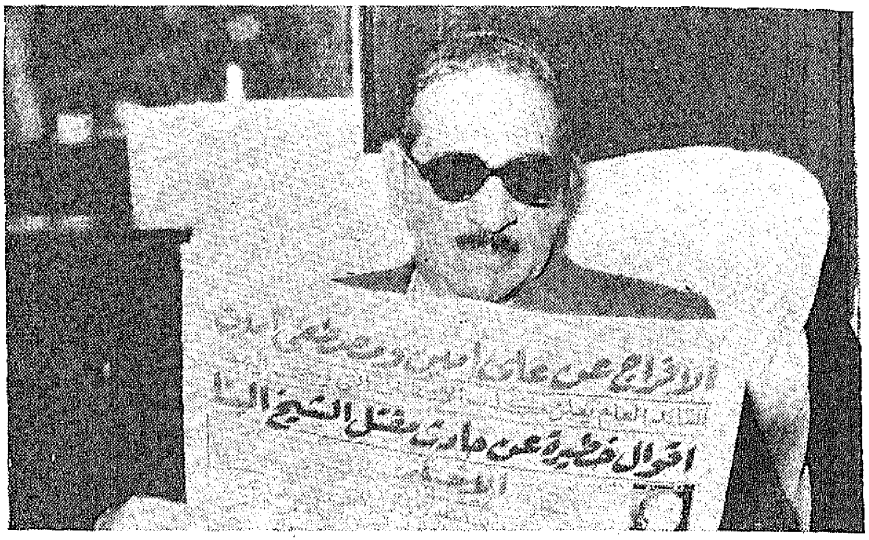

وعهدت الثورة إلى على ماهر بتأليف وزارة جديدة

ثم نشبت ثورة ٢٣ يوليو بقيادة جمال عبد الناصر

« هذه الصور من أرشيف مؤسسة أخبار اليوم »

وقد يكون الدكتور النقيب أحد الذين يتناولهم التطهير . .

فاروق : النقيب ؟ . . النقيب لا توجد ضده أى شبهات . .

الهلالى : بل توجد شبهات . .

فاروق : ثق بأنه فوق الشبهات .. خذه وزيرا على مسئوليتى ..

الهلالى : إننى آسف يامولاى لا أستطيع أن أقبله . .

فاروق : ولكنى أثق به . . فهل ليس من حقى أن يكون فى الوزارة وزير أثق به ؟

الهلالى : معنى ذلك أنك لا تثق بجميع الوزراء . . وهذا يجعلنى لا أولف الوزارة . فالمفروض أنك تثق يا مولاى برئيس الوزراء . وأن رئيس الوزارة يختار من يثق بهم . .

فاروق : مفهوم . . مفهوم . . ولكن هذا رجاء . .

الهلالى : رجاء مولانا على العين والرأس . ولكنى آسف أن أقول إن هذا الأمر من أسس تأليف الوزارة .

فاروق : لقد طلبت منه أن يحضر ويرتدى الردنجوت . وهنأته بالوزارة . وجاء خصيصا من الإسكندرية إلى القاهرة لذلك . ومعنى هذا أنك ستكسفه أمام الناس كلها . . ولهذا فأنا أريد أن تأخذه وزيرا . . ولو لثلاثة أيام .

الهلالى : إنى آسف أن أقول لجلالتك إننى لاأستطيع أن يكون النقيب وزيرا . ولقد قلت هذا للدكتور حافظ عفيفى .

فاروق : قال لى حافظ هذا . . ولكنى ظننت أن لى « خاطر » عندك . .

الهلالى : يا مولانا خاطرك على العين والرأس . ولو كانت المسألة تتعلق بشخصى فإننى على استعداد لأن أضحى . ولكن المسألة كما قلت تتعلق بصميم سياسة الوزارة . فإذا أخذت اليوم رجلا أشك فيه . فإن معنى هذا أننى أنزل عن سياسة الوزارة . ولهذا فلا داعى لأن أؤلف الوزارة كلها . .

فاروق : إن المسألة لم تصل إلى هذا الحد . ولكنى أعرف إنه لا يرضيك أن يخجل أحد رجالى أمام الخدم وهو مرتد بدلة الردنجوت .

الهلالى : أعرف أن هذه كسفة . . ولكنى أعتقد أنه إذا كان النقيب يحب مولانا فإنه سيتحمل هذه الكسفة . لأننى أعتقد إن هذا فى مصلحة جلالتك قبل مصلحة الوزارة . والوزراء إذا كانوا فى مجلس الوزراء يريدون أن يتكلموا بصراحة . وهم إذا وجدوا وزيرا مفروضا عليهم فإنهم لن يشعروا بحرية الكلام .

فاروق : أن هناك مشروعات مهمة جدا عند النقيب وهو سينفذها فى وزارة الصحة .

الهلالى : يمكن لجلالتك أن ترسل لى هذه المشروعات وأعد بأننى سأكلف الوزير المختص بدراستها .

فاروق : طيب . . طيب . . على أى حال فكر فى الموضوع مرة ثانية .

الهلالى : سأفكر يا مولاى .

ثم قال فاروق : هات الوزراء يحلفوا اليمين .

قالها فاروق بغيظ . وحاول الهلالى أن ينقذ الموقف بنكتة . . وتظاهر فاروق بالابتسام . .

ودعى الوزراء إلى حلف اليمين . ولم يدخل معهم الدكتور النقيب . وظل منصب وزير الصحة شاغرا . .

وبدأت بعد ذلك محاولات عديدة وعنيفة مع الهلالى لإدخاله وزيرا للصحة . وقيل للهلالى :

— لقد اخترت أنت فريد زعلوك وزيرا فى وزارتك لأنك تثق به . . وفاروق يثق فى الدكتور النقيب . . فخلى له وزير فى الوزارة .

ولكن الهلالى رفض . ومرت أزمة النقيب . .

أحمد حسين يتكلم

وكان من رأى الدكتور أحمد حسين أن نجيب الهلالى بدأ بداية ضعيفة بإدخال فريد زعلوك ومحمود غزالى ومرتضى المراغى وزكى

عبد المتعال . لعدة أسباب أولها أنه كان معروفا أن فريد زعلوك كان على صلات طيبة بمصطفى النحاس والسيدة حرمه حتى قبل تأليف الوزارة بأسابيع . وأنه كان محامى « الخياطة » التى نسب إلى حرم مصطفى النحاس أنها تدخلت لإعفائها من الضرائب . ولكن الهلالى كان يثق فى فريد زعلوك ثقة مطلقة لأنه كان لا يقوم بأى اتصال مع أى شخص إلا بعد استئذانه . وكان يطلع الهلالى على ما يجرى فى أى اتصال . وقد سمع فريد زعلوك أن القصر اعترض على اختياره للوزارة فسأل الهلالى عن صحة ما وصل إلى سمعه ، فنفى له الهلالى هذه الواقعة . وأقسم له بولده نبيل على ذلك . وقال الهلالى : لم يعترضوا لسبب واحد . لأنهم يعلمون أن عدم دخولك الوزارة معناه رفضى للوزارة .

والسبب الثانى . . أن محمود غزالى مشهور بصلاته الطيبة مع الإنجليز . وتعاونه معهم فى مناصبه المختلفة السابقة فى وزارة الداخلية وخاصة عندما كان مديراً للأمن العام . وكان يجاهر دائماً بأن شيئاً لن يسير فى هذا البلد إلا بأمر الإنجليز . وهذا الاختيار يضعف وزارة وطنية . بل يهدم أساس بنائها .

والسبب الثالث مرتبط بالشك فى نوايا مرتضى المراغى وزكى عبد المتعال . . فالمفهوم أنهما ممن يطمئن القصر إليهما . كما أن سلوكهما مع على ماهر لم يكن سلوك السياسى المحترم . أنهما

الوزيران اللذان تآمرا على الوزارة مع القصر وأطاحا بها . ولكن الهلالى كان ينظر إلى زكى عبد المتعال كتلميذ مخلص له . وكان زكى عبد المتعال على اتصال دائم بالهلالى وكان يستشيره فى كل خطوة يخطوها وهو فى وزارة على ماهر . . كما قيل للهلالى أن المراغى ليس موضع الرضاء الملكى فى السنوات الأخيرة . ولكن الدكتور أحمد حسين لم يكن يصدق هذا . وإن كان لم يواجه نجيب الهلالى بهذه الآراء . .

وأراد على أمين أن يتوسط بين الهلالى وأحمد حسين لإيمانه بأن دخول أحمد حسين الوزارة كسب كبير لمعركة التطهير ضد الفساد ، وبناء الإصلاح الاجتماعى .

فزرنا الدكتور أحمد حسين معاً . وجرى الحديث على مائدة الغداء وبعد الغداء حول هذا الموضوع . .

على أمين : أنت هارب من المعركة .

أحمد حسين : بالعكس . . لقد بدأ الهلالى معركة فاشلة . .

على أمين : هل تثق فى نزاهة الهلالى . . هل تثق فى قوته . . هل تعتقد أنه سيخضع لطلبات الملك ؟

أحمد حسين : أن ثقتى بشخص الهلالى لا حد لها . . ولكنى فقدت الثقة فى هذا الموقف . قد يكون على حق ، ولكننى واثق من الفشل . .

على أمين : لقد وضع الهلالى كتاب استقالته فى جيبه . وهو على استعداد لتقديمه اليوم وغدا وفى كل وقت . .

أحمد حسين : كان يجب ألا يقبل مطلقاً . يجب أن يفهم الشعب أنها وزارته وليست وزارة الملك . وكان لا سبيل إلى ذلك إلا طرد رجال الحاشية فوراً .

على أمين : كلنا بحاجة لطرد رجال الحاشية . والصحف الحرة كلها ستكافح معكم . ولكن يجب أن تعلم أن هذا لن يتم فى يوم وليلة .

أحمد حسين : لو رفض الهلالى الوزارة وأعلن أن أسباب رفضه هى عدم طرد رجال الحاشية لكانت هذه خطوة إلى الأمام . .

على أمين : هناك عشرات الكلاب الذين « يريلون » على الوزارة وستمنع الأحكام العرفية والرقابة على الصحف نشر أسباب رفض الهلالى .

أحمد حسين : لا . . . يجب أن تتخذ مواقف حاسمة . ويجب أن يفهم هذا المجنون أن البلد ليست عزبته . وأنا أفضل أن تأتى وزارة فساد أخرى حتى « تتطربق » فوق دماغه . .

على أمين : ستعم الفوضى التى يريدها الشيوعيون . .

أحمد حسين : إذا كان خايف من الشيوعية . . وفاهم تماما هذه النتيجة فيجب أن يفيق .

على أمين : إذا أردت أن تشترك فى إفاقته فسيكون كفاحك مجدياً وأنت رجل مسئول . وإذا كان الملك يقبل فوراً طرد رجال الحاشية ومحاكمة اللصوص وحكم البلد حكما نظيفا وإذا كان الانجليز يقبلون الجلاء فوراً . . فلا داعى إذا لأن يؤلف نجيب الهلالى الوزارة . . أن «بواب» بيتك سيكون أنجح رئيس وزراء فى مصر.

أحمد حسين : أنت فاهمنى . ولكنك تريد أن تحاورنى . . أننا الآن على أبواب أحداث خطيرة . الجيش ثائر . وطبقات الشعب تغلى من السخط . والحكم تعفن من الفساد . . والإنجليز على الأبواب . . والشيوعيون يعملون بنشاط . . كل هذا لا يدركه هذا المجنون ، فلست مطالباً بتدليعه والطبطبة عليه . . يجب أن يتحمل نتائج عبثه واستهتاره .

على أمين : أريد منك أن تصارح الشعب بهذه الحقائق وأنت عضو فى مجلس الوزراء .

أحمد حسين : اسمع يا على . . لقد بدأت المعركة فاشلة ومن المستحيل تحويلها إلى النصر . أنها كجريدة ولدت ميتة فلا يمكن أن تنجح .

على أمين : ادخل الوزارة واحمل علم الثورة على الفساد فى القصر وفى الأحزاب . . اصفع من تشاء بكل قوة وشجاعة ونحن وراءك . ثم قدم استقالتك إذا فشلت . .

أحمد حسين : وما الداعى . . لقد قلت لنجيب الهلالى وهو

فى مقام أستاذى ووالدى أن يعتبرنى وزيراً من غير مرسوم . .

على أمين : هل تعلم لماذا رفض الهلالى الوزارة الأولى ؟

أحمد حسين : لا . .

على أمين : لأن إلياس أندراوس اشترك فى عرضها عليه مع حافظ عفيفى .

أحمد حسين : إذن . . لماذا قبلها هذه المرة . . هل اختفى إلياس إندراوس من الوجود ؟

المسألة الخارجية

وأراد الدكتور أحمد حسين أن يؤكد تعاونه الكامل مع نجيب الهلالى . فقام بعدة اتصالات دبلوماسية بشأن المسألة الخارجية . . وكان يبلغ نتائجها أول بأول إلى رئيس الوزراء . . وكان من رأى الهلالى ورأيه أن يصدر الإنجليز إعلانا من جانب واحد يعترفون فيه بالجلاء والوحدة ثم تبدأ المفاوضات بعد ذلك . .

وأراد الدكتور أحمد حسين أن يمهد لنجيب الهلالى فى الصحافة العالمية . وقد كان معظم مندوبى الصحف العالمية فى مصر لا يعرفون الكثير عن الهلالى . ودعاهم الدكتور أحمد حسين واحداً بعد الآخر إلى منزله واستطاع أن يقنعهم أنها الفرصة الأخيرة

الباقية للتفاهم مع مصر وعلى رأس حكومتها رجل نظيف مثل نجيب الهلالى . .

ونشرت التايمس البريطانية والأوبزورفر والنيويورك تايمز مقالات لمراسليها فى مصر رحبت فيها بنجيب الهلالى ودعت إلى وجوب الاتفاق معه . .

وزار مستر ستيفنسن مندوب الأوبزورفر فى الشرق الأوسط نجيب الهلالى فى داره وكتب مقالا تحليلياً لشخصه . .

ثم بدأ الدكتور أحمد حسين اتصالاته بالدبلوماسيين الأمريكيين والإنجليز . قابل مستر كافرى السفير الأمريكى عدة مرات . واستطاع بعد اجتماعات متعددة أن يقنع مسترى كافرى بضرورة إعلان الجلاء والوحدة من جانب الإنجليز قبل الدخول فى أية مباحثات . . واتفق على إرسال برقية دبلوماسية إلى مسترا تشيسون وزير الخارجية الأمريكية بهذا المعنى . .

وكان نجيب الهلالى — مع هذه الاتصالات — مطمئناً إلى أن مباحثاته مع الجانب البريطانى ستكلل بالنجاح .

ولكنه فوجىء مرة واحدة ، بأن الجانب البريطانى أدار له ظهره ، وفشلت الاتصالات « الاستطلاعية » كما كان يسميها . .

كما فوجىء الهلالى بأن وضع الوزارة الداخلى يسير إلى نهاية أزعجت قلبه وضميره . .

رسالة التطهير

أن الظروف لم تكن مواتية لأن يستقبل الشعب وزارة الهلالى إستقبالا جديراً بالرسالة التى أعلن الهلالى أنه قبل الحكم لتحقيقها . . وهى رسالة التطهير . .

ولو جاء الهلالى إلى الحكم يوم ٢٧ يناير لكان الوضع متغيراً .

كما أن الأسلوب الذى أخرج به على ماهر من الحكم ، كان له الأثر الأول فى تعكير المياه أمام السفينة الجديدة .

لقد كان على ماهر سياسيا شعبياً . . وكان حريصاً دائماً على الاحتفاظ بشعبيته . وقد ألف الشعب أن يراه بعد اختفاء طويل فى الأزمات . . رآه بعد وفاة الملك فؤاد وتنصيب فاروق ملكا . رآه رئيساً للوزارة يستقيل لأنه أراد أن يجنب البلاد ويلات الحرب . ثم رآه الشعب معتقلا فى السرو وبأمر الإنجليز . ثم أخيراً جاء إلى الحكم بعد حوادث ٢٦ يناير . وكان اتجاهه فى وزارة ٢٦ يناير اتجاها شعبياً خالصا . لقد هادن الوفد حزب الغالبية وأعلن أنه لن يفاوض الإنجليز أكثر من ثلاثة أشهر . . إذا فشلت بعدها المفاوضة فسيكون بيننا وبينهم جهاد عسكرى

منظم . . وبدأ وزارته بأعمال شعبية براقة . . أولها تخفيض سعر الجاز وتخفيض سعر السكر وزيادة مقرراته . وتحريم السيارات الحكومية على الوزراء ثم جاءت استقالته المفاجئة بعد مؤامرة اعتذار السفير البريطانى عن عدم الاجتماع به فى يوم بدء المفاوضات .. ونشر مرسوم حل البرلمان فى الصحف . . فعرف الشعب فى كل مكان أن فاروق أجبر على ماهر على الاستقالة لأنه لا يريد أن تصل البلاد إلى نيل حقوقها الوطنية . . هذا من ناحية . .

ومن ناحية أخرى . . فإن مهادنة على ماهر للوفد قوت من شكيمة الوفد . . وأعادت إليه سمعته الشعبية التى كسبها بعد إلغاء المعاهدة . . وظهرت وزارة على ماهر أمام الكتل الشعبية بمظهر الوزارة القوية . .

وكان مفهوما لدى دوائر الوفد أن على ماهر لن يقدم على تعطيل الدستور . أو تأجيل الانتخابات عن موعدها . . ولذلك فإن النتيجة الطبيعية هى عودة الوفد إلى الحكم . .

وتعددت الزيارات بين وزراء الوفد السابقين . . وبين بعض وزراء على ماهر . وظهر مصطفى النحاس فى صورة عاطفية مع على ماهر فى رياسة مجلس الوزراء .

وكان لهذه الظاهرة أثرها النفسى فى الجماهير أولا . . ثم بين رجال الإدارة . ثم بين موظفى الحكومة . .

وتنبه على ماهر أخيراً إلى هذه الظاهرة . واقتنع بأن مصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين يتعمدان الظهور معه فى هذه الصور حتى تستغل فى الدعاوة لقرب مجىء الوفد إلى الحكم ، فبدأ يحتاط للأمر . وكان يروى قصص هذه الصور لأصدقائه دليلا على خبث مصطفى النحاس السياسى . ويوم استقال على ماهر ، زاره مصطفى النحاس فى داره مهنئاً ومؤيداً . وقال على ماهر فى ذلك اليوم : وقد فوجئت وأنا أودع النحاس باشا عند باب دارى بأنه اصطحب معه مصوراً صحفياً . كما فوجئت بأن مصطفى النحاس أمسك يدى ولم يتركها حتى انتهى التصوير .

وهكذا فهمت الجماهير ، أن فاروق أقال على ماهر لأنه كان سيصل إلى حل للقضية الوطنية مع الإنجليز . وأن الوفد يؤيد على ماهر .

وجاءت سفينة نجيب الهلالى تتهادى فى بطء فى هذا الماء العكر .

موقف أقطاب الوفد

وروج الوفد أنها وزارة انتقام أتى بها فاروق ، لكى ينكل بالرجال الوطنيين الأوفياء الذين ألغوا المعاهدة وكافحوا الاستعمار .

ولكن بعض أقطاب الوفد لم يكونوا من هذا الرأى . إن العناصر الوفدية التى لم تلك الألسنة سيرتها من ناحية نزاهة

الحكم والتى تربطها بنجيب الهلالى روابط وفدية طيبة قديمة ، كانت تود لو أن الهلالى وفق فى مهمته . .

وكان عبد السلام جمعة رئيس مجلس النواب الوفدى ، وقطب الوفد الكبير ، يؤيد الهلالى بقلبه ولسانه .

وعندما هاجم نجيب الهلالى فساد الوفد وتلويث أداة الحكم فى صيف ١٩٥١ فى حديثه التاريخى مع كامل الشناوى . . كانت هناك فكرة لأن يتصل الهلالى بعبد السلام جمعة وعبد الفتاح الطويل ويؤلف الأقطاب الثلاثة جبهة قوية ضد الفساد فى الوفد . . ولكن الهلالى رفض الفكرة . . فهو أولا لا يثق فى عبد الفتاح الطويل . وهو ثانيا لا يريد أن يحرج عبد السلام جمعة . . وعندما استقال عبد الفتاح الطويل من وزارة الوفد بسبب خضوع مصطفى النحاس لمشيئة فاروق فى نقل عبد الفتاح الطويل من وزارة العدل ، كان الهلالى يقول : « أؤكد لكم أنه سيعدل عن الاستقالة » . هذا فى الوقت الذى أذاع فيه عبد الفتاح الطويل نص استقالته فى الصحف واختفى عن الأنظار ، تارة فى مكتبه بالإسكندرية وتارة فى فندق « كنج مريوط » . وفعلا تحقق ما تنبأ به الهلالى ، وسحب عبد الفتاح الطويل استقالته فى وقت كان الإجماع منعقدا على استحالة عودته إلى الوزارة .

وقد حدث قبل أن يعلن الطويل استقالته ، أن أرسل

« مسودتها » مع نجله إلى نجيب الهلالى ليطلع عليها . فاعتذر الهلالى حتى عن أن يفتح المظروف ويقرأ الاستقالة حتى لا يقال أن الهلالى حرضه عليها . .

رأى عبد السلام جمعة

وأردت أن أعرف رأى عبد السلام جمعة بعد حديث الهلالى مع كامل الشناوى ، فسافرت إليه فى طنطا . وأذكر أننى تحدثت إليه تليفونياً من الإسكندرية قبل السفر . وكان ذلك فى يوم وصول فؤاد سراج الدين من أوروبا .

فقال لى : إنت بتتكلم منين ؟

قلت : من الإسكندرية يا باشا . .

قال : عندك بقى الزينات والأفراح والمواكب .

قلت : طبعاً .

قال : هذا عبث .

فاطمأننت إلى اتجاه رئيس مجلس النواب وقطب الوفد ، وقابلته فى مكتبه بطنطا ولم أجد صعوبة فى أن أحصل منه على حديث ضد فساد الحكم صرح فيه بأنه يطالب بتطبيق قانون الكسب غير المشروع « من أين لك هذا ؟» بأثر رجعى حتى يطمئن الشعب إلى نزاهة حاكميه .

وكان هذا التصريح الذى نشرته « آخر لحظة » ضد سياسة الوفد على طول الخط . وتحدث إلى عبد السلام جمعة فى ذلك اليوم ، عن نزاهة الهلالى وصدق وطنيته . لكنه لم يشأ أن يعلق بشىء ، عندما ألمحت إليه أن هناك اتجاها لأن يجتمع بنجيب الهلالى ليدبر أمراً معه . .

وعدت إلى الإسكندرية وأبلغت نجيب الهلالى آراء عبد السلام جمعة . فارتاح الرجل إليها .. ولكنه لم يشأ أن يتصل به .

ودارت الأيام سريعة . . وأصبح نجيب الهلالى رئيساً للوزارة. وقابله عبد السلام جمعة وفى هذه المقابلة تذاكرا موضوع حديث « آخر لحظة » . وأكد عبد السلام جمعة لرئيس الوزراء أنه يؤيده فى سياسة تطهير كل الأحزاب وعلى رأسها الوفد بكل ما يملك من قوة وجهد .

ماذا قال صلاح الدين ؟

كما قام الدكتور محمد صلاح الدين بزيارة نجيب الهلالى فى منزله بالمعادى . ولصلاح الدين صلات طيبة قديمة بالهلالى الذى كان يناديه دائماً : يا صلاح الدين والدنيا . .

وقال صلاح الدين : إن التطهير يجب أن يتم فى قصر الملك أيضاً . .

وقال الهلالى : وهذا رأيى أيضاً . ولكنها سياستكم طوال العامين الماضيين هي التى أدت إلى كل هذا . . وهى التى تضطرنى إلى الإمهال قليلا . .

وقيل للدكتور صلاح الدين فى ذلك الوقت : وما هى مصلحتك فى عدم تطهير الوفد من العناصر الملوثة . .

وكانت إجابته ، بأنه يقر سياسة التطهير . ولكنه يرى توحيد الصفوف أولا لمواجهة الإنجليز .

حزب جديد

أوردت هذه التفصيلات لأعطى صورة واضحة عن مختلف التيارات التى كانت تواجه الهلالى فى حزب الوفد ، والتى دعت الهلالى إلى أن يفكر فى تأليف حزب جديد يضم إليه العناصر الوفدية الصالحة . .

ولم يصرح الهلالى بشىء عن فكرة الحزب الجديد . .

وترك الفكرة لفريد زعلوك ، يمد بها الصحف للترويج لها . .

وظهرت لها آثار طيبة فى أول اجتماع عقدته الهيئة الوفدية لتحدد موقفها من وزارة الهلالى .

تكلم أحد أعضاء الشيوخ مطالبا بوضع أموال الوفد فى أيد

أمينة تحاسب فى نهاية كل عام . وعبر بعض النواب عن نواياهم الحسنة تجاه وزارة الهلالى فوضعهم الوفد فى القائمة السوداء ثم فصلوا من الهيئة الوفدية بعد ثورة ٢٣ يوليو .

وبدأ بعض الشيوخ والنواب يتوافدون على دار الرياسة . ثم فجأة تطورت الأمور . وعاد الوفد إلى تماسكه بعد أن اعتقل فؤاد سراج الدين . فقد أبت الشهامة الحزبية على كثيرين أن يتركوا الوفد وهو فى محنة اضطهاد . ولهذا فشلت فكرة الحزب الجديد .

مطاب سرى

وبدأ الهلالى معركة التطهير .. وتألفت اللجان .. وإذا بأوراق خطيرة تختفى من الملفات الحكومية . وإذا بالموظفين العليمين بالخبايا والأسرار يراوغون ويحاورون . وشكا الوزراء . وشكا رؤساء لجان التطهير من أن الموظفين فى رعب وفزع . فهم يخشون تقلبات الأيام . وما كان أسرعها .. يخشون عودة الوفد إلى الحكم ، فعمدوا إلى إخفاء الحقائق . فزعا من المستقبل القريب والعقاب القريب . .

وكانت خطة الهلالى أن يبدأ التطهير مع السياسيين . . وأن الاستمرار سيوصل حتما إلى حاشية فاروق . وقال الهلالى « أنا اتفقت مع حافظ عفيفى على ذلك » .

وقد تسربت أنباء هذا الاتجاه إلى حاشية فاروق .

ومن هنا شرعوا فى حملة واسعة ضد التطهير . وتلقى فاروق تقارير ومذكرات من رجال الحاشية بأن التطهير سيؤدى إلى نشر الشيوعية ، لأن المقصود به رجال الحاشية ثم الملك نفسه . وحدث بعد ذلك أن ضبطت حاشية فاروق خطابا سريا أرسلته حكومة الهلالى ، تطلب فيه من السماسرة أن يبلغوا عن جميع عمليات المضاربة التى قام بها إلياس أندراوس فى القطن . وقالت الحاشية لفاروق أن المقصود ليس إلياس أندراوس المستشار الاقتصادى للخاصة الملكية ، بل إن المقصود هو الملك نفسه وأن الحكومة تبحث سراً وراء عمليات مضاربة لفاروق تحت أسماء مستعارة .

وفى الوقت نفسه اتصلت بعض عناصر وفدية برجال الحاشية الخاصة . وقالوا إن زعماء الوفد يعتقدون أن فاروق وراء عملية التطهير . وأن هدفه هو الانتقام من شخصيات معينة . وأنه ما دام الأمر كذلك ، فإن هذه الشخصيات ستذكر ما تعلم من فضائح الحاشية .

وذهب رجال الحاشية وأبلغوا كل ذلك إلى فاروق .. وأرسل إلى نجيب الهلالى يسأل : ما هو المقصود بالتطهير ؟ .. وهل المراد به كما يشاع أن يصل إلى رجال الحاشية ؟

ورد نجيب الهلالى رداً دبلوماسيا . فلم ينف . ولم يثبت . وإنما قال أن التطهير يمسك بخناق كل ملوث . وأنه لا يتصور أن بجانب الملك ملوثين .

وأبلغ رجال الحاشية الملك . إن سمساراً مشهوراً اسمه محرز توفى. وأن حكومة الهلالى وضعت أختاما بالشمع الأحمر على خزانته . وأن فى هذه الخزائن أوراقا خطيرة تثبت أن « كفاتس » مدرب الكلاب الملكية[1] قبض مبلغاً فى عملية من عمليات القطن باسم الملك السابق .

وعندئذ تحول شك فاروق فى التطهير إلى يقين . وبدأ يبتعد عن مقابلة الوزراء .

وكان رئيس الوزراء يظن أن رئيس الديوان يقابل الملك . ثم اكتشف بعد ذلك أن رئيس الديوان نفسه لم يقابل الملك أكثر من مرتين فى خلال ثلاثة شهور . وأن ستاراً حديديا قد وضع على على الملك السابق لا يستطيع أن يجتازه رئيس الوزراء ولا رئيس الديوان إلا بواسطة الشماشرجى الذى هو الحلقة الوحيدة للاتصال .

---

(١) سافر مع فاروق بعد تنازله عن العرش .

وهـكذا كتب الفشل على سياسة التطهير . .

ووجه الهلالى نشاطه إلى علاج الوضع الداخلى فى البلاد بتعديل قانون الانتخاب . . على أن تجرى الانتخابات بعد ذلك .

وقرر أن يعالج المسألة الخارجية عن غير طريق المفاوضات .

وقال أنه وضع خطوات جديدة لمقاومة الاستعمار . .

أولها — إقفال باب المفاوضات .

وثانيها — السعى لدى الدول الأجنبية للاعتراف بلقب ملك مصر والسودان . .

وثالثهما — استدعاء وفد المهدى إلى مصر للتباحث معه على حل للمشكلة السودانية . .

وأفهم الهلالى أن أمريكا تبذل جهوداً خفية لدى الدول الخاضعة لنفوذ الدولار لأن تعترف باللقب .

وكان الهلالى سعيدا جدا باعتراف باكستان . فهى إحدى دول الكومنولث . وفى اعترافها اعتراف من ملكة انجترا بطريق غير مباشر باللقب .

وعندما تلقى السيد الطيب حسين القائم بأعمال الباكستان

اعـتراف دولته ، اتصـل بالهلالى فى الإسـكندرية تليفونيا من القاهرة وأيقظه من نومه . . وقال له إنه لم يستطع أن يبقى حتى الصباح ليزف إليه هذه البشرى . .

واستدعى الهلالى وفد المهدى إلى القاهرة . . وبدأت المباحثات بأزمة عنيفة كان سببها فضيلة الشيخ مخلوف مفتى الديار المصرية[1]

الهلالى فى منزل أندراوس !

ومن الناحية الشعبية ، لم يصب الهلالى التوفيق فى مباحثاته مع وفد المهدى . كان السخط الشعبى ضد الملك وحاشية الملك قد بلغ أوجه خلال هذه المباحثات . وفوجىء الشعب بأن الهلالى وبعض وزرائه وأعضاء وفـد المهدى يتناولون طعـام الإفطار فى رمضان على مائدة إلياس إندراوس وفى منزله . .

وقيل للهلالى فى ذلك الوقت إنه يجب أن يوحى للصحف بأن تـكتب عن ملابسات هذه الدعوة ولـكنه فضل أن يصمت مع أن الشعب كان يغلى بالنقد والسخط . وحقيقة ماحدث أن الهلالى دعا أعضاء الوفد إلى مأدبة فى سان ستيفانو . وأشير عليه أن يدعو الدكتور حسنى سكرتير الملك الخاص ، لأنه كان المختص بالمسألة

(١) اقرأ ص ١٣٨ .

السودانية فى قصر الملك . كما أشير عليه أن يدعو إلياس إندراوس ، لأن روابط شخصية تربطه بأعضاء الوفد السودانى منذ إقامته الطويلة فى السودان . فوجه إليهما الدعوة .

وفى خلال المأدبة . كان إلياس أندراوس يجلس إلى جوار السيد عبد الله الفاضل فدارت المداعبة التالية :

إندراوس — نفسك تأكل الويكة ياسيد عبد الله .

السيد عبد الله — أى . . والله .

أندراوس — خلاص . . أنا عازمكم تفطروا عندى . .

وقبل أعضاء الوفد الدعوة ، فوجهها إلياس أندراوس أيضا إلى نجيب الهلالى ووزرائه . وقال الهلالى بعد ذلك إنه وجد نفسه فى وضع لا يجوز فيه إلا قبول الدعوة .

وعلى كل . . فإن هذه الملابسات لا تبرر قبول الدعوة فى منزل إلياس أندراوس من نجيب الهلالى الذى رفض تأليف الوزارة لأن أندراوس كان مع حافظ عفيفى عندما عرضها عليه .

ولكن الهلالى لم يتم مباحثاته مع وفد السودان . . وقرر أن يستقيل فجأة . .

لقد أحس أن مقعد الحكم يهتز تحته بعد أن فشلت مفاوضاته « الاستطلاعية » مع الجانب البريطانى . . ولكنه قرر أن ينتظر

ويستمر فى خطة جديدة أساسها قطع المفاوضات . ثم فوجىء بمناورات أخطر من أن يواجهها . . ولذلك قرر الاستقالة وصمم عليها يوم الثلاثاء ٢٣ يونية سنة ١٩٥٢ .

قصة الورد والشوك

لقد روى الهلالى قصة فشل المفاوضات[1] قال : « زارنى عبد الخالق حسونه وزير الخارجية فى منزلى وأطلعنى على ما تلقاه من السفير البريطانى . وآويت إلى مخدعى لأستيقظ فى الصباح وفى يدى الإعلان بالجلاء والوحدة الذى طلبته .

ثم قابلت السفير فى اليوم التالى . وتبينت أن النهار قد محا كلام الليل ، وإذا بالرجل « يلحس » كل ما قاله قبل ذلك . . وإذا بالموقف كما هو لم يتغير ولم يتبدل . ثم عرفت السر . إنها جريمة . إنها خيانة وطنية . فقد اتصل الوفد بالإنجليز . وعرض عليهم التفاهم . عرض عليهم أن يقبل الورد بشوكه » .

وعلم الهلالى أن الوسيط هو المليونير أحمد عبود ، وقال إن هذه

---

(١) من أقوال الهلالى للسفير البريطانى فى المباحثات : قل لمستر إيدن انه إذا كان يخشى الشيوعية فإن أمامى فى مصر ثورة . ثورة لن تخمد إلا بتحقيق أمانى الشعب المشروعة .

الرواية سمعها طبيبان كبيران من شخصيات أجنبية لها اعتبارها إذا روت أسرارا .

وكان الهلالى ينوى أن يصرح بتفصيلات القصة على لسانه . ثم عدل عن ذلك .

واتصل بى أحد أصدقاء الهلالى فى دار « أخبار اليوم » وطلب منى أن أوافيه فى منزله على الفور .

وقال لى إنه كان مع الهلالى منذ لحظات . وإنه سمع منه قصة الورد والشوك . وطلب منى أن أنشر القصة . .

فقلت له : إن هذا اتهام خطير . ولا أستطيع أن أنشر القصة بغير دليل . إلا إذا كانت على لسان رئيس الوزراء .

فقال لى : إن الهلالى على استعداد لأن يؤيد القصة .

واتفقنا على أن أكتب الخبر الخطير ثم اتصل برئيس الوزراء ليؤيده فى تصريح على لسانه .

وكتبت القصة من غير ذكر أسماء أبطالها . واتصلت تليفونيا برئيس الوزراء الذى قال لى بعد أن قرأتها عليه « أضف إلى الخبر . أن رئيس الوزراء عرض هذا الموضوع الخطير على مجلس الوزراء وسيعرضه مرة ثانية على المجلس » .

ثم قال لى « وابقى فوت على الأستاذ فريد زعلوك » .

وزرت الأستاذ فريد زعلوك وزير الدولة وأيد لى الرواية .

وتردد فى ذلك الوقت إن الحكومة تفكر فى اعتقال أحمد عبود ، الذى عاد إلى القاهرة فى نفس اليوم على طائرته الخاصة . ولم يعتقل .

حديث تليفونى

وكان دليل الإثبات لدى الهلالى ، هو محادثة تليفونية مراقبة بين السيدة زينب الوكيل حرم مصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين سكرتير حزب الوفد .

السيدة — الراجل كان بيتغدى عندنا النهاردة . .

سكرتير الحزب — وإيه الأخبار . .

السيدة — عال قوى . . وهو زار الجماعة ، وكل شىء سيعود كما كان فى أقرب وقت .

ودلت رقابة البوليس . على أن الذى تناول الغداء هو المليونير أحمد عبود .

كان الهلالى يقول فى عنف تعليقاً على هذه القصة : هذه جريمة هذه خيانة . أفهم أن تصل الحرب إلى أقصى مداها فى خلاف داخلى ولكنى أطعن من الخلف وأنا أطالب بحق بلادى . هذا هو الإجرام

وقد أشار الهلالى إلى قصة « الورد والشوك » فى خطاب سياسى ألقاه فى مناسبة رسمية كما أشار إلى القصة مرة أخرى عندما أعلن تأجيل الانتخابات[1] إذ اتهم « سماسرة السياسة » باللعب فى الخفاء . وقد حاولت أن أسجل على لسان الهلالى أو فريد زعلوك مصدر هذه القصة حتى تتأكد كواقعة تاريخية كانت سبباً فى استقالة وزارته . ولكن الاثنين اعتذرا عن عدم إمكانهما التصريح باسم المصدر .

أزمة الشيخ مخلوف

ولم يكن سهلا أن تنجح مباحثات الهلالى مع وفد المهدى لقد بدأت هذه المباحثات بأزمة عنيفة سببها فضيلة الشيخ مخلوف مفتى الديار المصرية . وقد سببت هذه الأزمة تأخير المباحثات أربعة أيام .

فقد حدث بعد وصول الوفد إلى الاسكندرية ، أن تلقى أعضاؤه دعوة للاستماع إلى الدرس الدينى فى قصر الملك . وكان الشيخ مخلوف هو خطيب الدرس . وحضر الدرس رئيس الوزراء

(١) كان الهلالى قد قرر أن تجرى الانتخابات فى أكتوبر . والتزم بذلك فى إعلان مرسوم تأجيل الانتخابات . ثم علم أن الملك قرر أن يخرجه من الحكم فى أكتوبر ..

والوزراء وأعضاء وفد المهدى . ثم فوجىء الجميع بالخطيب يوجه كلامه إلى رجال المهدى قائلا : أنه كان يود أن يلقى هذا الدرس فى أحد مساجد الخرطوم إذ يجمعنا دين واحد ونبى واحد وقرآن واحد وقبلة واحدة . ولكن شاء الله أن تجيئوا إلى ساحة مليككم

وهنا ظهر الامتعاض والضيق على وجوه رجال المهدى . وأحس الهلالى ووزراؤه بأن أزمة ولدت قبل أن تبدأ المباحثات وقرر الهلالى أن يؤجل بدء المباحثات بضعة أيام حتى يخف أثر هذه الصدمة . وقابل حافظ عفيفى . واحتج على خطاب الشيخ مخلوف لأنه كان يجب أن يعرض هذا الخطاب على الوزارة ما دام يتناول أموراً سياسية .

وقال لى أحد وزراء الهلالى أن موظفاً بالقصر تقدم إلى المنبر عندما اعتلاه الشيخ مخلوف وسلمه الخطاب . ومعنى ذلك أن الخطاب عرض على القصر قبل إلقائه .

وعرف رجال المهدى باحتجاج الهلالى . وبدأت محادثاته معهم بعد أربعة أيام . ولم يثر هذا الموضوع فى محاضر المباحثات .

وقد كتب الهلالى تقريراً من نسخة واحدة عن مباحثاته مع وفد المهدى .

وقال الهلالى أنه أغفل ثلاث حقائق لم يشأ أن يسجلها فى تقريره .

الحقيقة الأولى هى الثناء على شخصه . وقول رجال المهدى له أنهم واثقون من أن مشكلة السودان ستحل ما ظل هو باقياً فى الحكم .

والحقيقة الثانية هى احتجاجهم على تصرفات لوزير سابق هو المهندس عثمان محرم .

والحقيقة الثالثة هى ما ورد على ألسنة رجال المهدى فى المباحثات من طعن فى قذارة رجال حاشية الملك[1] .

---

(١) بعد أن عاد يحيي نور خبير مصر الاقتصادى ووسيط المباحثات من الخرطوم أطلعت على تقرير سرى كان قد أعده ليقدمه إلى نجيب الهلالى . ولكن الوزارة كانت قد استقالت فتسلم حسين سرى هذا التقرير . وجاء فى هذا التقرير أن رسولا من قبل المهدى أبلغه أن المهدى على استعداد للاعتراف بلقب ملك مصر والسودان إذا اعترف السيد على الميرغنى .

يحيي نور — أن اعتراف السيد على الميرغنى أمر مفروغ منه .

الرسول — أؤكد لك أن السيد الميرغنى لن يعترف بشىء نعترف به نحن حتى لو كنا متفقين معه فى الرأى .

يحيي نور — اترك لى هذه المسألة فإنها بسيطة .

الرسول — قد يبدو لك أنها بسيطة . ولكننا واثقون أن الميرغنى سيقول غربا إذا قلنا شرقا. وقد حدث أن أراد المهدى أن يأخذ رأيه فى مناسبة سابقة ، عندما دعى إلى سفر سياسى فى الخارج فزاره فى منزله . وإذا بالميرغنى قد جعل المقابلة بينهما عامة ودعا إليها أشخاصاً آخرين . فتعذر على المهدى أن يكلمه فى شىء . لقد تعمد الميرغنى هذا السلوك .

يحيي نور — أؤكد لك أن اعتراف الميرغنى فى يدى من الآن .

الرسول — حاول .

وخلال مباحثات الهلالى مع وفد المهدى ثارت أزمة ثانية وكان سببها أيضاً هو فضيلة الشيخ مخلوف .

فى ذلك الوقت نشرت « أخبار اليوم » تحقيقاً صحفياً للأستاذ مصطفى مؤمن عن مذهب القاديانية فى الباكستان ، وعن بعض حوادث دامية كان للسيد ظفر الله خان وزير خارجية الباكستان دخل فيها .

وقابل كامل الشناوى فضيلة الشيخ مخلوف وسأله رأيه بوصفه مفتياً للإسلام فى موقف ظفر الله خان . فأدلى إليه الشيخ مخلوف برأى خطير . فطلب كامل الشناوى من فضيلته أن يكتب هذا الرأى بقلمه وأن يوقعه . ولم يتردد مفتى الديار المصرية .

ونشر هذا الرأى الخطير فى الصفحة الأولى من « الأخبار » وثارت أعصاب نجيب الهلالى واتصل على الفور بحافظ عفيفى . وأبلغه احتجاجه على هذه الفتوى من موظف رسمى ، بعد أن

= وفعلا طاب يحيي نور مقابلة السيد الميرغنى قبل عودته إلى القاهرة . وإذا بالميرغنى يعتذر عن عدم إمكانه المقابلة لارتباطه بمواعيد سابقة وصحب اعتذاره بالتمنيات الطيبة ليحيي نور برحلة مريحة .

وسجل يحيي نور فى تقريره : وهكذا وثقت أن رسول المهدى كان على حق فيما قاله لى . .

اعترفت باكستان وهى إحدى دول الكومنولث بلقب ملك مصر والسودان .

وجاءت الأنباء إلى الهلالى أن هذا الرأى موحى به من فاروق وأن الشيخ مخلوف قابل فاروق الذى طلب إليه تسجيل هذا الرأى تسفيها لظفر الله خان الذى يهدد خلافة فاروق على المسلمين .

ولهذا احتج الهلالى .

وفكر الهلالى فى أن يستقيل لهذا السبب . فقد كان ينتظر أى سبب . ثم عدل . واستمر فى هذا القلق إلى أن نشرت الصحف صورة لأحمد عبود وكريم ثابت وإلياس أندراوس وهم فى مطار القاهرة فى طريقهم إلى باريس على طائرة واحدة .

وأمضوا فى باريس بضعة أيام عادوا بعدها إلى القاهرة .

وكان الهلالى يعرف أن واحداً من حاشية فاروق فى أوربا .

وبدأ الرجل يتقصى الأخبار . كان يعرف أن فاروق قرر أخراجه فى أكتوبر . فقيل له أن هناك محاولات جديدة لإخراجه قبل هذا التاريخ . وراجت فى ذلك الوقت قصة المليون جنيه . وهى أن المليونير أحمد عبود على استعداد لأن يدفع لفاروق وحاشيته مليوناً من الجنيهات فى مقابل إخراج نجيب الهلالى من الحكم . وروى الهلالى القصة لبعض وزرائه ثم استقر رأيه على أن يقدم استقالته

وبعد أن كتب الاستقالة ، استدعى صلاح الشاهد تشريفاتى الرياسة وقال له :

— يا صلاح . . سأرفع استقالتى غداً إلى الملك .

— خير يا دولة الباشا . . هل جد شىء ؟

— نعم . . فقد علمت من مصادر لا يرقى الشك إلى صحتها ، أن بعض رجال الحاشية قبضوا مليوناً من الجنيهات ، للعمل على إسقاط وزارتى .

* * *

وأسرع صلاح الشاهد إلى السيدة أصيلة والدة الملكة ناريمان وأبلغها ما سمعه من رئيس الوزراء ، فعلاقة القرابة التى تربطه بها تسمح له بذلك . وأبلغت أصيلة هانم ابنتها القصة . وطلبت إليها أن تحذر الملك . .

وأراد حافظ عفيفى أن يثنى الهلالى عن الاستقالة ففشل . . ثم قال للهلالى أنه متضامن معه فى الاستقالة .

إن معنى ما حدث أن حافظ عفيفى كان فى القصر كالزوج . . آخر من يعلم . .

وأبلغ حافظ عفيفى الملك أنه يريد الاستقالة ، فكان رد فاروق : علشان الناس يصدقوا إنى قبضت فلوس لإخراج الهلالى . .

فعدل حافظ عفيفى عن الاستقالة[1] .

* * *

وخرج الهلالى من الحكم مودعا من مريديه بعبارات الأسف على عجزه عن تنفيذ السياسة التى رسمها عندما قبل الوزارة .

أما الوفد فقد ودعه باللعنات . . وكان مصطفى النحاس يقدم

---

(١) كان بقاء حافظ عفيفى فى القصر موضع سخط ونقد شديدين من أصدقائه . وكان فى مقدمة الناقدين الساخطين صديقه المكافح القديم الدكتور سيد شكرى الذى صارحه أكثر من مرة « كيف تبقى فى هذا الجو العفن . إن كل دقيقة تمر عليك فى خدمة هذا الماجن هى على حساب سمعتك وكرامتك ومصلحة الوطن » .

وكان حافظ عفيفى يجيبه فى كل مرة بأن استقالته فى جيبه وأنه لم يفقد الأمل .

ويوم استطاع حافظ عفيفى أن يقنع الملك بتكليف بهى الدين بركات بتأليف الوزارة كان يتصور أنه حقق نجاحا من بقائه رئيساً للديوان . . ثم صدم حافظ عفيفى بأن ذلك النجاح لم يستمر لأكثر من ساعات .

وقد حدث أن اجتمع حافظ عفيفى سراً مرتين بالفريق عزيز المصرى فى منزل الدكتور سيد شكرى وتم الاتفاق على أن يعمل حافظ عفيفى على تعيينه قائداً عاما للجيش المصرى أو مستشاراً عسكريا للقوات المسلحة . وفشل فى هذا المسعى . وأبلغ حافظ عفيفى صديقه الدكتور سيد شكرى أنه تحايل مرة وذكر اسم عزيز المصرى أمام فاروق . فغضب الملك غضبة كبرى . .

الحلوى « والشربات » لضيوفه يوم الاستقالة . وراج بين الوفديين بأن الحكم أمسى قريب المنال . وأن حسين سرى رئيس الوزراء الجديد هو القنطرة لهم إلى مقاعد السلطة بعد أسابيع ، إن طالت فلن تجاوز أشهراً ثلاثة . .

وأما السعديون والدستوريون والكتليون فقد ودعوا الهلالى غير آسفين . كان الهلالى يمثل أمامهم علامة استفهام حائرة ، فلا هو معهم ، ولا هو عليهم ، ولا هو قادر على إشراكهم فى الحكم . .

وأما الإخوان المسلمون . فقد صرح مرشدهم بدل المرة مرات بأن موقفهم من وزارة على ماهر أو وزارة الهلالى أو وزارة حسين سرى . . هو موقف المتفرج لا أكثر ولا أقل . فلهم دعوتهم . ولهم دستورهم . وهم فى واد وهذه الوزارات فى واد . ولن يلتقى الفريقان . .

وأما شباب الحزب الاشتراكى فقد تنفسوا الصعداء . كانوا يأملون فى أى انقلاب جديد بعد أن ضجت أرواحهم وراء قضبان المعتقلات . .

والصحافة كانت تريد من يحطم قيوداً خنقت أنفاسها وقصفت أقلامها . .

والشعب . . هو الرجل المريض الذى غالبته العلل والأدواء . فيئس من الشفاء . وأسلم أمره إلى خالقه وكتم صرخاته اليائسة . .

ودوائر القصر — باستثناء حافظ عفيفى وحده — هللت بالمباعدة بين الهلالى ومقعد الحكم [1] .

---

(١) كان فاروق يسخر من نجيب الهلالى فى مجالسه الخاصة بنادى السيارات بالأسكندرية علنا وعلى رؤوس الأشهاد . وكان يقهقه طويلا كلما سمع نكتة يطلقها أحدهم هزءا بوزيره الأول .

حدث مرة أن أمر الملك بطرد أحد أبناء البيوتات اللاهية من نادى السيارات . فقد كان يلعب الورق فى « برتيتة مولانا » وكان حذرا . إذا كسب تحايل على ترك اللعب . وإذا خسر تحايل على عدم التمادى فى الخسارة . فغضب عليه فاروق . وأمر بطرده من حظيرته . وانتهز أحدهم هذه الفرصة وقال لفاروق : والله يا مولانا . . فلان ده عامل زى نجيب الهلالى لا طلع ولا نزل . .

فقهقه الملك طويلا بضحكته الضخمة المزعجة . وكان ذلك قبل أن يستقيل الهلالى بأيام . وطلب من قائل النكتة أن يعيدها . فارتفع ضحك الملك . وانصرف خلان الفجر وهم يقولون : لقد انتهت أيام الهلالى فى الحكم .

الفصل الخامس

ثم فشلت وزارة حسين سرى

الأربعاء ٢٩ يونيو

انتهت أيام الهلالى .. وبدأت أيام حسين سرى فى صباح الأربعاء ٢٩ يونية سنة ١٩٥٢ .

بدأ حسين سرى مشاوراته منذ الظهر ، ثم تابعها زوج كريمته ووزيره الأول الدكتور محمد هاشم حتى مطلع الفجر .

وكان طرفا المشاورات إلياس أندراوس وكريم ثابت .

وبعد مطلع الفجر بقليل كنت قد انتهيت من لقاء صحفى استمر

ساعة مع الدكتور محمد هاشم الذى تربطنى به صداقة قوية .

قال لى أن المهمة صعبة وشاقة : إذ أن سياسة حسين سرى ستقوم على مهادنة جميع الأحزاب والهيئات فى البلاد . وإن الحالة الاقتصادية الخطيرة هى الشغل الشاغل لرئيس الوزراء الجديد .

وعرفت من الدكتور هاشم أسماء الوزراء الجدد .

وفى الساعة الخامسة والنصف من الصباح كنت أدق باب حجرة مصطفى أمين فى فندق سيسل . . وقال لى وهو يفرك عينيه : إيه الأخبار ؟ .

قلت : حسين سرى اتصل بالوزراء الجدد .

فسأل : ومن هم ؟ .

وأجبت : عبد المعطى خيال وعلى بدوى وأحمد رشدى ونجيب إبراهيم وسيد عبد الواحد .

فسأل : ومن أيضاً ؟ .

قلت : وصليب سامى والشيخ فرج السنهورى وسامى مازن .

فسأل : فقط ؟ .

قلت : فقط . هذا ما عرفته من الدكتور هاشم .

ثم سألني مصطفى أمين ساخراً : وكريم ثابت ؟ .

فقلت : إن كريم ثابت طرف فى المشاورات مع حسين سرى ومحمد هاشم .

مصطفى أمين : يجب أن تعلم علم اليقين أن كريم ثابت وزير فى وزارة حسين سرى ولن تؤلف الوزارة بغير كريم ثابت . إنه ثمن الصفقة . .

فقلت : هذا غير معقول . . لقد جن حسين سرى . .

مصطفى أمين : إن الأيام المقبلة خطيرة . . خطيرة جداً . . إننا مقبلون على كارثة لا يعلم مداها إلا الله . إن الملك فى رأيي مثل « كنج كنج » وحش مفترس انطلق ينهش فى كل شيء . وعجز المحيطون به عن أن يوقفوه عند حده ، وهم المسئولون عن هذا المصير . .

فقلت : ولكن مستحيل أن يكون كريم ثابت وزيراً . إنها انتكاسة مؤلمة إلى وراء .

مصطفى أمين : إنى أراهنك . هذا ما سيحدث . .

وتركت مصطفى أمين ، واسترحت فى منزلى ساعتين وأنا أردد « مستحيل مستحيل يصبح كريم ثابت وزيراً فى مصر » ثم قصدت إلى منزل حسين سرى وانتحيت جانباً بالدكتور محمد هاشم وسألته :

— هل صحيح أن كريم ثابت وزير معكم ؟ .

فأجابنى : نعم . .

قلت : وكيف يمكن هذا ؟ إن قصة المليون جنيه لم يجف مدادها بعد . . الناس كلها تتحدث عنها . وهذا أول مسمار فى نعش وزارتكم . . وكيف تشركوا أحد المفسدين فى الحكم ؟ كريم ثابت . . هذا مستحيل . . لم أكن أتصور . .

فقال : أما عن قصة المليون جنيه . فاعلم أنها تخريف . وليس حسين سرى بالرجل الذى يشترى الحكم . وإذا كانت القصة صحيحة فلماذا لم يكتبها نجيب الهلالى فى كتاب استقالته ؟ . . لماذا لم يذعها على الملأ ؟ . .

قلت : دعنا من هذه القصة . . الشعب يعرف من هو كريم ثابت قبل هذه القصة . . إن دخوله الوزارة مصيبة كبرى على البلد .

فقال : لعلك لا تعلم أن حسين سرى استقال من رياسة الديوان احتجاجاً على تدخل غير المسئولين . ولكن ثبت أن هؤلاء المحيطين

بالملك هم مروضوه . . لقد انتصروا وانتصر لهم الملك ، على كل من حاول أن يعيقهم . والوضع الآن فى منتهى البساطة والوضوح . البلاد على شفا هاوية اقتصادية خطيرة . وحسين سرى رجل زاهد فى الحكم وعنده من المال ما يكفى حياته وحياة كريماته الثلاث فى نفس المستوى الذى يعيشون به الآن حتى مماتهم . وهو لم يغنم من الحكم إلا الجهد المضنى . وقد قبل أن يضحى وأن يتحمل المسئولية . ولكن كل وزارة تصطدم دائما بالملك وجنونه . فلا بد من مروض . لا بد من وسيط يحل المشكلات الدائمة التى يثيرها الملك بتدخله . . وكريم ثابت خير من يروض . كان الاحتجاج عليه أنه رجل غير مسئول . وقد جعل حسين سرى منه وزيراً مسئولا . فلن يحتج أحد إذن على وساطته بين الوزارة والقصر .

قلت : المصيبة إن حسين سرى سيجعله رجلا مسئولا . إنه غير جدير بالمسئولية . إن الشعب يطالب بشطبه تماما من عالم الدولة . إنه أحد الفاسدين الذين أفسدوا الملك . .

فقال : هذه يدى . وهذا عهد بينى وبينك أمام الله . لك أن تحتقرنى إلى الأبد إذا وجدتنا سنطأطىء الرأس أمام الملك . أن لحسين سرى مواقف فى رياسة الديوان لم يسجلها رجل من قبله ، ولكنه صامت لا يتكلم . . ولن يتغير حسين سرى . .

قلت : إن الشعب لن يقبل هذا الكلام . .

قال : إن السياسة السليمة أن نرفع الشعب إلى المستوى الواجب . .

قلت : إن الوعى العام الآن فى المستوى الواجب . ولن يقبل كريم ثابت وزيرا .

قال : للشعب أن يحاسبنا إذا نحن فرطنا . . ولكن لا مفر من مروض لهذا الوحش الكاسر . .

أول يوليو

اليوم الثالث للمشاورات . الوزارة لم تؤلف بعد . الملك يعترض على أسماء الوزراء . اقترح الملك اسم عبد العزيز ناصر وكيل المالية وزيرا للمالية . رفض حسين سرى واقترح عدة أسماء أخرى رفضها الملك . اقترح حسين سرى اسم محمد هاشم وزيرا للمالية رفضه الملك . ثم عاد وقبله . .

ضاق حسين سرى بهذا الحال . إن الموافقة على الاسم أو رفضه تستغرق أربع ساعات . .

لم يكن حسين سرى يعلم أن فاروق كان يلعب على مائد القمار فى نادى السيارات ولم يترك المائدة . كان إلياس أندراوس يذهب

إليه وينتظر حتى يكسب فيتقدم له باسم الوزير المقترح منتهزا فرحته بالكسب . كان حسين سرى جالسا بين أفراد أسرته فى منزله وهو يضرب كفا على كف ويقول :

أنا فى دهشة ! . . . كيف يكلفنى بتأليف الوزارة ثم يضع العقبات أمام تأليف الوزارة ؟ . . ألم أقل منذ البداية إن التعاون معه مستحيل ؟

قصص مع فاروق

ثم بدأ حسين سرى يقطع الوقت برواية قصص الأزمات العديدة التى نشبت بينه وبين الملك عندما كان رئيسا للديوان الملكى فى يناير ١٩٥٠ حتى استقال من هذا المنصب . .

قال حسين سرى :

« استدعانى الملك وأنا رئيس للوزارة ، بعد أن ظهرت نتيجة الانتخابات ، وبعد أن وضح أن الغالبية وفديه وطلب منى أن أكون رئيسا للديوان ، فاعتذرت فى ذوق عن عدم قبول المنصب .

ثم عرفت بعد ذلك أن اتفاقا جرى مع حسن يوسف وكيل الديوان على أن يكون فؤاد سراج الدين هو رئيس الوزارة الوفدية المقبلة ، بدلا من مصطفى النحاس . وقد وضع هذا الحل إرضاء للملك الذى لم يكن يتصور أن يعود مصطفى النحاس رئيسا للوزارة .

ثم تحدث إلى الملك وطلب منى أن أقابله فى منزل حسن يوسف .. وكان ذلك حوالى الساعة التاسعة مساء فى الأسبوع الأخير لوزارتى. ثم تركنا حسن يوسف فى الصالون منفردين وعرض على الملك مرة ثانية منصب رئيس الديوان . . واستمرت مناقشاتنا حتى بعد منتصف الليل . وأفهمت الملك أن شروطى للقبول هى :

١ — أن يكون مصطفى النحاس هو رئيس الوزراء .

٢ — أن يتبرع الملك من الجيب الخاص بمبلغ كبير جدا من المال ، يترك لرئيس الديوان حرية صرفه فى وجوه البر والخير حتى يكون ذلك عاملا على استعادة حب الشعب للملك . .

٣ — أن يكون رئيس الديوان هو الرسول الوحيد بين القصر والوزارة .

٤ — أن يترك لرئيس الديوان حق التصرف فى شئون موظفى القصر الرسميين وغير الرسميين وأن يستغنى عن خدمات من يريد الاستغناء عنهم .

٥ — ألا يتزوج الملك من الآنسة ناريمان ، لأن عائلتها لا تناسبه لأن طريقة هذا الزواج لا تتفق وسمعة ملك[1]

* * *

(١) كانت ناريمان مخطوبة للدكتور زكى هاشم المحامى ووزعت بطاقات الدعوة إلى الحفل .

وبذلت جهداً كبيراً ووقتا طويلا فى إقناع الملك بتحقيق الشرط الأول، لأنه كان لا يريد النحاس رئيسا للوزارة مرة أخرى بعد أن فرضه عليه الإنجليز فى حادث ٤ فبراير . فقلت له إن من الممكن أن يصدر النحاس بوصفه رئيسا للوفد قراراً بفصل فؤاد سراج الدين رئيس الوزراء من عضوية الوفد . وفى هذه الحالة تتعقد الأمور ويضطر الملك مرغما إلى قبول مصطفى النحاس رئيساً للوزراء . فالأجدى أن يقبل هذا الوضع من البداية وبإرادته ورغبته . وأخيرا اقتنع . وطلب من حسن يوسف الاتصال تليفونيا بفؤاد سراج الدين وإبلاغه أن الرأى قد استقر على عكس الوضع السابق .

وقبل الملك الشروط الأربعة الأخرى فى غير عناء . وقال عن زواجه بناريمان إنها فكرة طارئة بل نزوة قرر العدول عنها[1] .

---

(١) أثيرت قصة هذا الزواج عندما كان حسين سرى رئيساً للوزارة ، فقد اتصل به محمد على نمازى وزير المواصلات تليفونيا وطلب مقابلته على الفور لأمر هام . وأبلغه أن حسين فهمى صادق سكرتير عام الوزارة تقدم إليه باستقالته من عمله .. ولما سأله عن السبب أجاب بأن الملك سيتزوج من كريمته وانه أمره أن يستقيل . . وتحرى حسين سرى بوصفه رئيساً للوزراء عن =

وأضاف حسين سرى :

= « عروس » رئيس الدولة . ثم طلب مقابلة الملك وأبلغه أنه يعترض على هذا الزواج . وقال له أن العائلة لا تناسب ملكا ، والطريقة التى سيتم بها هذا الزواج لا تتفق واحترام ملك أمام شعبه .

وغضب الملك وقال إنها مسألة شخصية . ولا يقبل أن يتدخل فيها رئيس الوزراء . فقال له حسين سرى إنه مستعد أن يذهب بنفسه ليخطب للملك من يختار إما من قريبات الملك او من كبار البيوتات العريقة المعروفة .

وحتى ذلك الوقت لم تكن الخطبة قد أذيعت رسمياً . .

واستقالت وزارة حسين سرى ، ثم عين رئيساً للديوان ، وأثناء رياسته للديوان اتصل به حسن يوسف وأبلغه بأن الأستاذ حسين فهمى صادق قد توفى وأن جلالة الملك أمر أن يسير رئيس الديوان وكبار موظفيه بالملابس الرسمية فى الجنازة .

فرد حسين سرى متجاهلا : من هو حسين فهمى صادق ؟

فأجاب حسن يوسف بأنه والد الآنسة ناريمان وهذا مفهوم . .

فقال حسين سرى أنه لا يعرف أن حسين فهمى صادق له صفة رسمية حتى الآن وأنه لن يسير فى الجنازة . .

فسأل حسن يوسف : وما الموقف بالنسبة لنا ؟

فقال حسين سرى : تصرفوا كما تشاءون . . أما أنا فلن أسير فى الجنازة .

وشيعت الجنازة بعد ظهر ذلك اليوم . وكان حسين سرى مدعوا فى منزل مستر تشابمان أندروز الوزير المفوض بالسفارة البريطانية ويقع منزله فى مواجهة منزل حسين سرى فى الزمالك .

ولكن حسين سرى طلب سيارته الرسمية كرئيس ديوان ، ولبى دعوة تشابمان أندروز . ثم قصد فى المساء إلى فندق سميراميس وتناول العشاء بدعوة من أحد أفراد الجالية الفرنسية .

وكان قد اعتذر عن عدم تشييع الجنازة لأنه مريض . .

وباشرت عملى كرئيس ديوان ثم بدأت المفاجئات ، فوجئت يوما بأن مصطفى النحاس رئيس الوزراء يتحدث إلى تليفونيا ويقول لى أنه تلقى مذكرة من الملك بشأن مسألة فلسطين قدمها له الفريق محمد حيدر فى الساعة الثالثة بعد منتصف الليـل وطلب النحاس رأيى فى هذه المذكرة . .

. . . وكنت لا أعلم شيئاً عن هذه المذكرة . .

فأسرع بالرد قائلا : ظيب . . أنا جاى لرفعتك حالا . .

وقابلت مصطفى النحاس . ولم أشأ أن أشعر رئيس الوزراء أننى كرئيس ديوان لم أخطر بهذه المذكرة وأجهل عنها كل شىء . . وبادرنى النحاس قائلا : قوللى يا سيدى . . إيه رأيك بأه . . إيه رأيك بأه . . ؟ .

فقلت له : طيب . . علشان نفهم بعض ، نقرأ المذكرة سويا الآن . وأقول لك رأيى .

. . فسر مصطفى النحاس من هذه الروح وقال : عظيم . . عظيم جداً . . نقرا بأه . .

وقرأ المذكرة . ومن عادة مصطفى النحاس أن يقرأ ببطء ووضوح ويعيد ما يقرؤه . واستطعت بذلك أن أفهم ما تضمنته المذكرة وأبديت رأيى .

واستمر حسين سرى يروى قصص أزماته وهو رئيس ديوان ومنها قوله :

علمت أن الملك استدعى وزير الداخلية فى نادى السيارات فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وعلى مشهد من لاعبى القمار وأخذ يحقق معه بوجود كريم ثابت وحيدر فى تفصيلات الحركة الإدارية .

وأبلغت احتجاجى للملك على تجاهله لى فى هذا الموضوع ، فقال لى أن الوقت كان متأخراً ولم يشأ أن يزعجنى . .

فألححت عليه أن يناقش مثل هذه الأمور فى غرفة مكتبه . ورجوته أن يخصص بعض وقته كل يوم لدراسة شئون الدولة .. ولكنه لم يفعلها مرة واحدة .

وحدث مرة أخرى أن دق جرس التليفون فى مكتبى. فسألت: من المتكلم ؟ فكانت الإجابة : أنا محمد حسن . .

فقلت له بلهجة جافة : إوعى تانى مرة تفتح على التليفون . إنت فاهم ؟ إدينى جلالة الملك . فقال لى إن الملك مشغول . فخرجت على الفور إلى قصر القبة وقابلت الملك وقلت له : إننى لاأقبل مطلقاً أن « شماشرجى » يفتح على الخط ، وأننى أريد أن أترك عملى فى القصر . فطيب خاطرى وهدأنى وقال أنها غلطة لن تتكرر .

* * *

ثم قال حسين سرى :

« وأخيرا وقعت المفاجأة الكبرى . إستدعانى الملك على عجل من منزلى . وقابلنى بالروب وكان لا يرتدى غيره ، وقال لى : إيه حكاية الضريبة على الإيراد ؟ أنا لا يمكن مطلقاً أدفع هذه الضريبة .

فقلت له إن هذه ضريبة على الجميع . وأقترح أن تدفعها . وهذا يحبب فيك الشعب .

وأصر الملك على عدم دفعها . . .

. . فقلت له : إننى كرئيس ديوان أنصح بأن تدفع هذه الضريبة لصالحك . فقال لى بأن هذه المسألة ليست من إختصاصى لأنها مسألة مالية . وأن اختصاصى فى المسائل السياسية فقط . . وأنه سيحيلها إلى نجيب سالم ناظر الخاصة .

فقلت له : لا يا جلالة الملك . إنها من اختصاصى لأن القانون لا يستثنيك ومن جهة أخرى أريد أن أذكر جلالتك أننى اشترطت لشغلى منصب رئيس ديوان أن تتبرع جلالتك من آن لآخر بمبلغ كبير من المال من الجيب الخاص يصرف على وجوه البر . ولم تحقق جلالتك هذا الشرط . وأنا يا مولاى لا أعمل هنا « باشكاتب » ولذلك أرجو أن تعفينى من منصبى .

وبعد أيام اتصل بى الدكتور زكى عبد المتعال وزير المالية وقال لى : إن فيه ناس من السراى طلبوا منى إصدار قانون يعفى الملك من الضريبة على الإيراد . فقلت له : إننى رئيس الديوان المسئول وأنى لا أقر مطلقا صدور مثل هذا القانون .

وانتهت المكالمة . وقررت أن أستقيل .

وبعد ظهر ذلك اليوم زارنى فى منزلى محمود يونس الأمين الرابع وأبلغنى أن الملك يسألنى عن السبب الذى سأذكره فى استقالتى . فقلت : إن شكل الاستقالة لا يهمنى . وسلمته إستقالة مكتوبة فى عبارة مختصرة لأسباب صحية »[1] .

* * *

ثم قال حسين سرى بعد أن روى معاركه مع الملك وهو رئيس للديوان :

« ولذلك ترددت كثيراً فى قبول رياسة الوزارة . لقد عرضت

---

(١) مثل هذا الأسلوب ساعد فاروق على الاستمرار فى بغيه وطغيانه . اسلوب الصمت أمام كل مباذلة . إن مواقف الصمت لا تحل الأزمات وتخفى عن الشعب الحقائق . كان يجب على حسين سرى أن يعلن على الملأ لماذا استقال ؟ وكيف كان الملك يريد أن يسرق أموال الدولة . . إلى آخر كل ما جرى بينهما . إن سكوت رجال الدولة أمام الملك السابق وردم على طيشه وعبثه واستهتاره بالصمت أو بالانسحاب ، كان أحد الأسباب القوية التى جعلته يتمادى إلى نهاية الشوط .

على الوزارة قبل أن تقع حوادث ٢٦ يناير فرفضت أن أتكلم حتى فى المبدأ . وقلت عند عرضها : أنا عارف فاروق كويس . لما يتزنق يلجأ إلى حسين سرى . وعندما تستقيم الأمور يعود إلى عبثه وطيشه . أنا لست مستعداً أن أدخل هذه التجربة مرة أخرى .

ثم عرضت على الوزارة مرة ثانية أثناء وجود الهلالى فى الحكم وكان جوابى هو نفس الجواب الأول .

ولكنى اضطررت إلى القبول هذه المرة بعد أن تأكدت أن الحالة الاقتصادية تنذر بالانهيار الكامل . . وطلبت أن يترك لى مطلق الحرية فى تصريف شئون الدولة .

دفاع عن عبود

وسألت حسين سرى :

— ولكن لماذا لم تتصل بنجيب الهلالى وتعرف منه أسباب استقالته قبل أن تقبل الوزارة ؟

فقال حسين سرى :

— إننى كنت على علم بكل مجريات الأمور فى وزارة نجيب الهلالى وقد عرضت على الوزارة قبل أن يكلف بها ، وأثناء توليه الحكم ، ولكنى اعتذرت . ولما استقال وكنت أدرك

حقيقة سوء الحالة الاقتصادية وتعثر الوضع الخارجى ، قبلت مسئولية الحكم .

فقلت له :

— ألم تصل إلى سمعك قصة المليون جنيه ؟

فأجاب :

— سمعتها كأشاعة كما سمعها الكثيرون . ولما قيل لى أنها منسوبة إلى عبود ، وأنا أعرف مركز عبود المالى ، وإنه مستحيل أن يدفع مليون جنيه . . لم أفكر بعد ذلك إن أبحث تفصيلات القصة .

يرشح برهى الدين برکات

تعبت أعصاب حسين سرى فى المساء من كثرة حضور إلياس إندراوس ومعه أسماء يطلبها الملك ثم عودته إلى الملك . . ثم حضوره من جديد بأسماء جديدة . . لقد اقترح حسين سرى أن يكون اللواء محمد نجيب وزيراً للحربية ، فرفض الملك ، وصمم على اختيار مرتضى المراغى . . واعتذر المراغى لسبب غير مفهوم . . ثم رأى الملك أن تسند الوزارة إلى اللواء حسين فريد فرفض حسين سرى .

وانفرد حسين سرى بنفسه فى حجرة النوم ثم استدعى إلياس اندراوس وقال له :

لن أؤلف الوزارة . . إن هذه البداية لا تبشر بالخير . . وإنى أرى أن تعرض رياسة الوزارة على واحد من اثنين . بهى الدين بركات أو مرتضى المراغى . أن بهى الدين رجل له ماضيه وتجاربه وبعد نظره إلى الأمور . ومرتضى لا يؤخذ عليه إلا أنه لا يزال شاباً لم تغرقه التجارب . ولكنى لا أرى أن صغر السن يعوق الآن الشباب من تولى أكبر مناصب الدولة .

وفى منتصف الليل ، قابلت الدكتور محمد هاشم ، فأنهى إلى قرار حسين سرى فقلت له :

— مبروك . . لقد تخلصتم وتخلصت البلاد من وزارة بها كريم ثابت .

فقال الدكتور هاشم :

— ما زلت مصمما على وجهه نظرى فى إشراك كريم ثابت كوزير ، يكون هو الوساطة الوحيدة بين القصر والوزارة . ولكننى آسف على أن الملك عاجز عن أن يدرك خطورة الآثار التى ستترتب على هزله واستهتاره فى موطن الخطر .

أول يوليو . . . فى الصباح

المرشحون للوزارة يتوافدون على منزل حسين سرى بسيدى بشر . حسين سرى لا يجالسهم إلا بضع دقائق . محمد هاشم يقطع عليهم الوقت بالحديث فى شتى الشئون .

أنهم يسألون : متى سنحلف اليمين ؟ .

محمد هاشم يجيبهم أن المشاورات لا تزال مستمرة . وسيحدد الموعد خلال ساعات .

ثم يأتى كريم ثابت فيلتف حوله بعض المرشحين ويسألونه فى لهفة :

— إيه يا كريم باشا . . ما سبب التأخير ؟ .

— أبداً . . أنتم سيد العارفين . . أن المسائل دى تاخد وقت والظرف عصيب . .

— البركة فيك . .

— أحمد الله ، أن حسين سرى سيتلقى كتاب تكليف بالوزارة لم يسجله التاريخ من قبل .

— عال . . . عال . . . السلام عليكم .

ثم ينصرفون إلى فنادقهم وبيوتهم وهم لا يدرون شيئاً .

* * *

وعند الساعة السادسة من المساء . يستدعيهم حسين سرى ليقول لهم أن عقبات قامت فى سبيل تأليف الوزارة . وأنه قرر عدم قبول الوزارة . .

ولكن المرشحين للوزارة يفهمون من جانب آخر أن المطلوب منهم ألا يغادروا الأسكندرية حتى صباح اليوم التالى . لقد همس بذلك الدكتور محمد هاشم فى آذانهم . .

ويفاجأ المرشحون لوزارة حسين سرى بصحف الصباح تنشر أنباء تكليف بهى الدين بركات بتألف الوزارة الجديدة . ويتصلون بالدكتور محمد هاشم يسألونه عن التطورات . فتذهلهم إجابة غامضة : معلهش . . أرجوكم الانتظار وعدم مغادرة الإسكندرية .

فيعقد المرشحون حلقات فى صالونات سيسل ووندسور وسان ستيفانو . . ويسألون مندوبى الصحف عن الأخبار .

واستطعت أن أعرف حقيقة ماجرى .

كان حافظ عفيفى يريد أن يفوت على إلياس إندراوس وكريم ثابت إقناع الملك بحسين سرى . .

كان يريد اختيار بهى الدين بركات لرياسة الوزارة . أنه واثق أن بهى الدين بركات لن يعطى فرصة لكريم ثابت أو إلياس إندراوس للتدخل . .

وكان كريم ثابت يسعى إلى تثبيت وزارة حسين سرى لأنه رئيس الوزارة الوحيد الذى قبل أن يأخذه وزيراً معه . لقد رفض على ماهر . ولم يحاول كريم ثابت طلب ذلك فى وزارة الهلالى لأنه كان يعلم أن تحقيقه مستحيل .

وكان طوال ذلك الوقت . . وقبل حريق ٢٦ يناير يسعى إلى ترشيح حسين سرى لرياسة الوزارة. وكان دائم الاجتماع مع الدكتور محمد هاشم الذى استطاع أن يقنع حسين سرى بتعيين كريم ثابت وزيراً . .

ولذلك لما عرضت الوزارة على بهى الدين بركات . . فإن كريم ثابت لم يفقد الأمل فى عرقلة جهود حافظ عفيفى . أنه يستطيع هو وإلياس إندراوس أن ينفذا إلى الملك فى أى مكان . . فى نادى السيارات على مائدة القمار .. فى أى ملهى أو كاباريه يسهر فيه الملك.. وكانا يعلمان أن بهى الدين بركات رجل بطىء التفكير والحركة وقد قضت البلاد أربعة أيام بلا وزارة ، ومن الصعب أن تستمر بلا وزارة فترة أخرى . . ولذلك كان الدكتور هاشم مطمئناً إلى أن محاولة بهى الدين بركات ستفشل . .

رأى الفليسوف

وتلقت الدوائر الوفدية نبأ تشكيل بهى الدين بركات للوزارة بالدموع .

وقابلته دوائر أحزاب الأقلية بالشماتة . .

أما الشعب ، فقد كان فى حيرة من أمره .. كان أحد لا يستبعد أن يصبح أنطون بوللى رئيساً للوزراء . .

واتجهت عدسات التصوير إلى منزل بهى الدين بركات الذى تجمع حوله أكثر من خمسين صحفياً . .

لقد وصل إلى الإسكندرية قادماً من القاهرة فى الساعة الحادية عشرة من الصباح ، بعد حديث تليفونى بينه وبين حافظ عفيفى فى الساعة التاسعة والنصف من مساء اليوم السابق . .

— أنا حافظ عفيفى . .

— أهلا وسهلا . . أزى الأحوال . .

— أنت جاى أمتى ؟

— بعد ثلاثة أو أربعة أيام . .

— لا . . أحنا عاوزينك تيجى بصفة مستعجلة .

— ليه . . فيه حاجة ؟

— أرجو حضورك إلى الإسكندرية غداً . . فيه قطار يقوم من القاهرة الساعة الثامنة ويصل هنا بعد ثلاث ساعات . . ولولا أنى لا أريد أزعاجك لطلبت إليك الحضور بالديزل الذى يقوم فى السابعة صباحاً . .

فطلب الدكتور بهى الدين بركات عقب هذه المكالمة ، صديقه الحميم المستشار خالد اللوزى فى الإسكندرية ، وأنبأه بما جرى ، وسأله :

— تفتكر حافظ عفيفى طالبنى ليه ؟

— أعتقد أنك ستكلف بتشكيل الوزارة .

فقال الرئيس الجديد :

— على أية حال ، سوف أصل غداً بإذن الله الساعة الحادية عشرة . أرجوك انتظارى فى المحطة ، وإبلاغ لطفى السيد إننى سأقصد إلى فندق سيسل للاجتماع بكما قبل ذهابى إلى حافظ عفيفى فى رأس التين . .

وحضر بهى الدين بركات فى الموعد الذى حدده وسأل لطفى السيد .

— ما رأيك ؟

فقال لطفى السيد :

— سأقول لك رأى الفيلسوف ، لا رأى السياسى . ارفض على الفور . ولاتقبل على الإطلاق .

بهى الدين بركات :

— إن البلاد تتردى إلى هاوية سحيقة . ويجب أن نجند أنفسنا فى خدمتها . وإذا وجدت الفرصة للعمل . فلماذا لا نعمل ؟

لطفى السيد :

— لقد قلت لك رأى الفيلسوف . واستمع إلى رأى السياسى .

اقبل الوزارة ، ولـكن أعرض عليهم من الشروط ما ينتهى بهم إلى أن يرفضوا تـكليفك بالوزارة . فأنت رجل نظيف شريف ، لا يمكن أن تتعاون مع ملك قذر لا يرجى صلاحه . .

وصمت لطفى السيد لحظات ثم قال :

— ومع ذلك . . اذهب وقابل حافظ عفيفى ، وشوف كلامه .

وكان حافظ عفيفى أسعد ما يـكون الرجل السياسى فى ذلك الصباح . . لقد اعتقد أن بقاءه فى القصر انتهى بالنصر . . ويكفى أنه وصل إلى إقناع الملك بأن يتولى بهى الدين بركات دفة الحـكم . .

وقال حافظ عفيفى لبهى الدين بركات أن الملك يطلب إليه أن يؤلف الوزارة . . أنت خير من يقدر هذا الظرف الدقيق . إن الموقف يحتاج إلى إنقاذ . وأنت المنقذ .

وأجابه بهى الدين بركات : أنا لا أستطيع أن أؤلف الوزارة ، قبل أن أقابل نجيب الهلالى وأعرف منه لماذا استقال . . ثم أقابل حسين سرى وأعرف منه لماذا لم يؤلف وزارته . ثم اتصل بالأحزاب . وأتعرف إلى وجهة نظرها فى حل مشكلات البلاد . وبعد ذلك أكون رأيى . ولى شروط إذا قبلت تأليف الوزارة .

حافظ عفيفى : إحنا مستعجلين . أرجو أن تنتهى من تأليف الوزارة فى أسرع وقت .

بهى الدين بركات : أنت لما تطلب طبيب لمريض مش من واجب الطبيب ألا يكتب الدواء إلا بعد أن يفحص المريض فحصا دقيقا . .

حافظ عفيفى : وما هى شروطك ؟

بهى الدين بركات : يجب أن يحدد موقف الملك من رئيس الوزراء . فأنا الذى أختار الوزراء الذين أريدهم . ولن أقبل منه تدخلا فى هذا الشأن . كما أننى لا أقبل مطلقا تدخلا من الملك فى عمل الوزارة لا بنفسه ولا بوساطة أعوانه الملتفين حوله . وإذا قبلت كل هذه الشروط فسأبدأ مشاوراتى فى الموقف .

واستأذن منه حافظ عفيفى لبضع دقائق ثم عاد قائلا :

— لقد عرضت جميع شروطك على الملك ووافق عليها .

* * *

ثم بدأ بهى الدين بركات مشاوراته . .

اجتمع بحسين سرى فى منزله فى الساعة الرابعة والنصف ، وعرف منه لماذا عدل عن تأليف الوزارة . ثم اجتمع بنجيب الهلالى فى منزله فى الساعة الخامسة واستمر اجتماعهما ساعة وثلث ساعة وروى له الهلالى قصص العقبات التى وضعت فى طريق الوزارة لعرقلة أعمالها حتى أصبح الجو أفسد من أن يعيش فيه عمل منتج . وروى له أيضا قصة المليون جنيه . .

ثم عاد إلى منزله . وكان يرافقه طوال الوقت الزميل الصديق على حمدى الجمال «مدير تحرير الأهرام الآن» وسأله بهى الدين بركات أنت يا على بحكم عملك الصحفى عليم بما يدور على ألسنة الشعب .. فماذا يريد الشعب من الحكومة الجديدة فى هذه الظروف . . ؟

فقال على الجمال : الشعب يريد أن يتحرر من تدخل أصحاب النفوذ غير المشروع ومن الوزراء اللصوص ، ومن كل قيد على الحرية الشخصية وعلى حرية الصحافة . . ثم يريد أن يأكل ويعيش وكفاه ذلا وجوعا . .

وقبل أن يقصد بهى الدين بركات إلى منزل حسين سرى كان قد طلب من زكى العرابى أن يقابله . .

وقال له : إننى كلفت بتشكيل الوزارة . . فأيه رأيك ؟

العرابى : رأيى الشخصى ولا رأى الحزب ؟

بهى الدين : رأيك الشخصى . .

العرابى : البلد ترحب بأن يتولى شخص مثلك أمورها ، لأنك لا شك ستعمل على ما فيه المصلحة وتنقذها من الهاوية التى تتردى فيها أما عن رأى الحزب فلا أعرفه .

وطلب إليه الدكتور بركات الاتصال بالنحاس لمعرفة رأى الحزب . .

فقال زكى العرابى أنه سيتصل بمصطفى النحاس . ويعود برأيه فى الموقف السياسى .

وعاد زكى العرابى ليقول : إن الرئيس مصطفى النحاس مع احترامه لبهى الدين بركات ، واعترافه بأنه شخص نزيه شريف يعتز أى إنسان بالتعاون معه ، إلا أنه « أى النحاس » لا يقبل الاشتراك فى أية وزارة وكل ما يستطيع أن يقوله أنه مصر على أن تجرى انتخابات حرة نزيهة يتولى الحكم بعدها حزب الغالبية .

وأضاف زكى العرابى : ويقول مصطفى أنه سوف يترك الملك يلهو ما شاء ، ولكنه لن يقبل الاشتراك فى الحكم وسيطالب على الدوام بإجراء الانتخابات .

فرد بهى الدين بركات : ولكننى لم أطلب من النحاس الاشتراك فى الوزارة ؟ ؟

فقال العرابى : والله أنا أبلغته أنك تسأله عن رأيه فى الموقف السياسى ، فكان رده على كما قلته لك بالحرف الواحد .

* * *

وفى الساعة الثامنة من المساء كان بهى الدين بركات قد رتب مواعيد مشاوراته فى اليوم التالى مع إبراهيم عبد الهادى ومكرم عبيد وحسن الهضيبى . وأوى إلى مخدعه عند العاشرة تماما .

وبعد هذا الوقت بقليل كان الدكتور محمد هاشم يتصل تليفونيا من منزل حسين سرى بالوزراء الجدد ليبلغهم أن الملك وقع مرسوم تأليف وزارة حسين سرى . . وأنهم سيحلفون اليمين صباح الغد .

* * *

وهكذا . . تطور الجنون بأسعار بورصة الوزارات . ارتفعت فجأة الأسعار الهابطة . ونزلت فجاة الأسعار الصاعدة . وأخذ مندوبو الصحف يفتشون عن سر التلاعب ؟

أما حافظ عفيفى ، فقد روع بالنبأ الخطير عند الساعة الحادية عشر من المساء . . وصاح فى إلياس إندراوس وهو يتحدث إليه بالتليفون : إيه ده ؟ . . . هو أنا طرطور ؟ . . مش تقولولى ؟ . .

وآمن حافظ عفيفى فى ذلك الوقت أن أصدقاءه الذين طلبوا إليه الاستقالة أكثر من مرة ، كانوا على حق ، وأنه كان جديرا به أن يقى وجهه من هذه الصفعات . ومع ذلك لم يقدم حافظ عفيفى استقالته . .

وعرف المستشار خالد اللوزى بالنبأ من زميلنا على حمدى الجمال ولم يشأ أن يوقظ بهى الدين بركات من نومه .

وفى الصباح اتصل حافظ عفيفى بصديقه بهى الدين بركات معتذرا .

* * *

وحار الباحثون عن الأسرار فى سر هذا الانقلاب . .

قيل إن إلياس إندراوس قصد إلى الملك فى المساء . وقال له إن البلد مقدمة على اضطرابات خطيرة ، ولا يمكن أن تعيش أكثر من أربعة أيام بغير وزارة . وبهى الدين بركات سيتشاور ويتشاور ويمضى أسبوعا فى مشاوراته مع أحزاب متعارضة المصالح والآراء . ثم أخيرا يقول لنا رأيه . . هل يقبل أولا ؟

وهكذا استطاع أن يقنع الملك بأن يؤلف حسين سرى الوزارة بعد أن تعهد بأن يعدل حسين سرى عن موقفه . . وقصد فعلا إلى منزل حسين سرى بعد ذلك . . واشترك معه الدكتور هاشم فى اقناعه بتأليف الوزارة .

وقيل أيضا إن مساومات الملك على « المليون جنيه » هى التى أدت إلى هذا التطور فقد قبل أن يستدعى بهى الدين بركات « ليهوش » دافع المبلغ أن يؤدى الباقى لأنه لم يدفع إلا جزءا . ولما تمت الصفقة سحب التكليف من بهى الدين بركات .

٢ يوليو

قابل حسين سرى فاروق ، وأمضى معه نصف ساعة قبل أن يحلف الوزراء اليمين .

لم يتحدثا فى العراقيل التى أقامها الملك أمام تأليف الوزارة . ولـكن تناول الحديث الفريق محمد حيدر .

قال الملك — اعتبر حيدر ده مش موجود فى الجيش . .

حسين سرى — لماذا ؟

فاروق — أهوه كده . خلاص ما عدش نافع ابدا . .

حسين سرى — استأذنك فى أن أبحث مسألته أولا . . ثم أدلى لجلالتك برأيى .

فاروق — لا . . ده لازم يخرج . .

حسين سرى — أرجو اعطائى مهلة لبحث الموضوع . .

فاروق — كفاية يومين . .

٣ يوليو

(حيدر فى منزل حسين سرى فى ساعة مبكرة من الصباح)

حيدر — الملك عاوز يشيلنى والدسائس تحالكضدى . وأنا أريد أن أوضح له الحقيقة . سأعد عريضة لأرفعها إليه ويحقق فيما بلغه عنى .

حسين سرى — اكتب عريضة وقدمها إلى حافظ عفيفى .

وقد قلت للملك أمس أننى سأدرس الموضوع وأدلى له برأيى فى ذلك . فلا تخش على موقفك من الدسائس .

« عند الظهر فى دار الوزارة ببولكلى » .

صلاح الشاهد التشريفاتى ، يدخل إلى مكتب رئيس الوزراء مستأذنا فى أن يقابله مصطفى صادق عم الملكة ناريمان .

حسين سرى واقفا فى وسط غرفته يستقبل المهنئين : فيقول : خليه يتفضل .

مصطفى صادق — بعد التهنئة — أنا عاوز اتكلم مع رفعتك فى حكاية . .

حسين سرى — يجلس — اتفضل . . .

مصطفى صادق — إحنا عاوزين لشركة سعيدة ٤٠ ألف جنيه .

حسين سرى — الشركة دى مش أخذت إعانة قبل كده ؟

مصطفى صادق — ده كان أيام وزارة النحاس باشا . . ولكننا تقدمنا بطلب آخر فى وزارة على ماهر ثم فى وزارة نجيب الهلالى ، وقد وافقت عليه الوزارة السابقة لولا أنها استقالت . وفى ذلك الوقت أخذت توصية من وزير الحربية لوزير المالية . .

حسين سرى — وبعدين ؟ . .

مصطفى صادق — ثم استقالت الوزارة قبل أن يصدر المرسوم بالاعتماد . ولكن كل الإجراءات منتهية . وأرجو أن تتحدث مع وزير المالية فى هذا . .

حسين سرى — إحنا وزارة جديدة . ولا تلزمنا موافقة قديمة . وكل ما أستطيع أن أقوله لك ، هو أن تتقدم بطلب جديد إلى وزير المالية ، وسوف يعرض على الموضوع . ثم نتناقش فى الأمر .

مصطفى صادق — متشكر . . متشكر جدا . . أورفوار .

حسين سرى — أورفوار .

* * *

« قبل الظهر فى مكتب محمد هاشم وزير الداخلية »

كريم ثابت — الملك عاوز يعين حسين طنطاوى وكيل داخلية . وينقل عبد الرحمن عمار من المواصلات إلى الداخلية .

محمد هاشم : وهل هذا معقول . هو مش عارف خطورة هذا التصرف . . إذا صمم الملك على هذا الطلب أنا مستقيل . . إيه . . هو من أول يوم . . ؟

إلياس إندراوس — يا راجل تستقيل إيه ... أنا أحل الأشكال .

محمد هاشم — أنا ناوى أعين صلاح مرتجى وكيل داخلية . وصلاح كفء ونشط وفاهم شغله كويس . وسيبقى حسين رأفت فى مكانه .

٥ بولبو

« حافظ عفيفى رئيس الديوان فى مكتب حسين سرى رئيس الوزراء » .

حافظ عفيفى — ممسكا بورقة فى يده — أنا معى ثلاثة مطالب يسألك الملك عنها . .

حسين سرى — يمسك بالورقة ويقرأ — إبعاد ١٢ ضابطا من الجيش وحل مجلس إدارة النادى و ...

ثم يسأل : من هم الـ ١٢ ضابط دول .

حافظ عفيفى — أنا لا أعرفهم . . . وبيقولوا إن حيدر عارفهم كويس . .

حسين سرى — لكن الخط ده مش خط الملك . . فأنا أعرفه فهل هو خطك ؟

حافظ عفيفى — لا . .

حسين سرى — أمال خط مين ؟

حافظ عفيفى — أغلب الظن أنه خط الشماشرجى عزيز . .

« بعد هذا . . . حيدر فى مكتب حسين سرى » .

حسين سرى — أنا بعدت كتير عن وزارة الحربية ياحيدر باشا إيه حكاية الـ ١٢ ضابط دول ؟ .

حيدر — ما أعرفش . .

حسين سرى — إزاى ؟ ... دول بيقولوا إنك عارف المسألة ؟

حيدر — لا .

حسين سرى — إبحث هذا الموضوع . . وأنا منتظر رأيك .

« أحد رجال القصر يتصل بحسين سرى تليفونيا »

— ماذا فعلت فى مسألة حيدر ومسألة الضباط ؟

— لا أزال أدرس الموضوع . .

١٤ يوليو

« حيدر فى مكتب رئيس الوزراء »

حيدر — خلاص يا أفندم . كل شىء انتهى . .

حسين سرى — ما هو الذى انتهى ؟

حيدر — حليت نادى الضباط .

حسين سرى — وإزاى تتخذ أى إجراء قبل ما تعرضه على . . أنا مش قلت لك إبحث الموضوع ثم عد إلى بعد الدراسة ؟ . .

حيدر — أنا أعمل إيه . . أنا إتصلت بالسراية وأعطونى مهلة ٥ أيام . . والنهارده آخر يوم فاتخذت هذا الإجراء . .

حسين سرى — لقد أخطأت وستتحمل نتيجة خطئك . .

« كريم ثابت فى مكتب رئيس الوزراء »

كريم ثابت — الملك يطلب تعيين عبد الخالق الطوبى ومراد فهمى ومصطفى شعراوى وكلاء لوزارة الحربية .

حسين سرى — أولا عبد الخالق الطوبى مستحيل ، فأنا مهندس قديم وأعرفه ، ولا أطمئن مطلقا إلى عمله . أما مراد فهمى فأنا أعرفه كمهندس كفء نظيف . ومصطفى شعراوى ده ضابط وما ليش عليه أى اعتراض . ولا أرى أن نتناقش فى هذا الأمر الآن لأننى لم أدرس بعد وزارة الحربية . وبعد الانتهاء من الدراسة سأقول رأيى . .

فى مكتب محمد هاشم

* متحدث بالتليفون يبلغ محمد هاشم وزير الداخلية فى الساعة الحادية عشرة والنصف مساء أن هناك « ضرب نار » فى الزيتون.

* وزير الداخلية ينتقل على الفور إلى قسم الزيتون ، ويستدعى جميع رجال الأمن العام ويفاجأ بوجود حسين سرى عامر فى قسم الزيتون .

* إتضح أن وزير الداخلية السابق أراد أن ينشئ فرقة خاصة فى وزارة الداخلية لقمع المظاهرات قوامها ٣ آلاف شخص . وصل منها إلى القاهرة ٢٥٠ رجلا .

* سأل محمد هاشم وزير الداخلية أحمد طلعت حكمدار القاهرة عن معلوماته فقال إنه رفض أن يقبل الاستعانة بأى جندى من هؤلاء.

فسأله : ومن ترك هؤلاء الجنود يخرجون ؟

فأجاب طلعت : لقد أخذوهم فى سلاح الحدود لتمرينهم . وطلبوا منى عددا من البنادق أرسلتها إليهم ولا أعرف غير هذا . .

وأمن عبدالفتاح نصر مدير البوليس على أقوال حكمدار القاهرة .

* ثم بدأ وزير الداخلية سؤال حسين سرى عامر . فقال إن سلاح الحدود أخذ نصف عدد هؤلاء الجنود وترك النصف الباقى لوزارة الداخلية لتدريبه وتحمل كل المسئولية عنه . وأنا أعتبر البوليس مسئولا عن حادث اليوم .

* واجه محمد هاشم الفريقين باقوالهما فصمم كل منهما على أقواله .

* ثم حقق واقعة إطلاق النار فاتضح أن سببها مشاجرة بين هؤلاء الجنود وبين رواد سينما الزيتون ، إنتهت بأن أطلق الجنود النيران على دار السينما .

* أمر محمد هاشم بتسريح جميع هؤلاء الجنود .

* نشرت جريدة الأهرام فى اليوم التالى خبرا صغيرا عن أن وزير الداخلية حقق حادثة بنفسه فى قسم الزيتون حتى الثانية صباحا .

* أبلغ محمد هاشم أن الملك ثائر بسبب نشر هذا الخبر ومن تصرف وزير الداخلية .

* * *

وبعد . . . هذه مناظر سريعة اللقطات للأسلوب الذى كان يسير عليه القصر فى التدخل فى شئون الحكم . نفس الخطة . نفس الطريقة . ولم يفلح وجود كريم ثابت المروض النابه فى تلافى أى أزمة.

ولكن الموقف اتخذ بعد ذلك شكلا خطيرا بعد ٢٤ ساعة فقط من حادث قسم الزيتون . .

لقد عرف أن اللواء محمد نجيب سيقدم إستقالته من الجيش ..

وكانت المعلومات التى تلقتها الحكومة أن التذمر وصل إلى مداه بين ضباط الجيش بعد قرار حل نادى الضباط ونقل اللواء محمد نجيب إلى منقباد . . وتردد من مصادر عديدة فى ذلك الوقت أنه من المتوقع أن يقوم الجيش بأى إجراء يعبر عن تذمره . . وتصورت الحكومة أن اللواء محمد نجيب هو زعيم هذه الحركة والعليم بأسرارها . . ولذلك اتجهت كل آراء المسئولين فى الوزارة إلى محاولة إرضاء محمد نجيب بأى ثمن . . ولم يكن أحد يعلم

فى ذلك الوقت ، أن اللواء محمد نجيب لم يكن يعلم شيئا عن تكوين مجلس الثورة السرى أو خطته .. أو تشكيل الضباط الأحرار وخلايا هذا التشكيل وساعد هذا الفهم الخاطىء على اطمئنان الضباط الأحرار إلى أن خطتهم وتشكيلاتهم لا تزال فى طى الكتمان .

١٥ يوليو

« منتصف الليل النور الأحمر على مكتب محمد هاشم وبداخله كريم ثابت فى انتظار وصول الوزير » .

* محمد هاشم يصل إلى وزارة الداخلية ويقابله مصطفى أمين عند باب الوزارة . مصطفى أمين يطلعه على ورقة أخرجها من جيبه . وفيها نص استقالة محمد نجيب . مصطفى أمين لمحمد هاشم « إن الجيش ثائر للأمر الذى أصدره الملك بحل نادى الضباط وقد أبلغنى محمد نجيب أنه قرر الاستقالة من منصبه . إن العلامات التى عندى تؤكد أن الجيش كله ثائر ضد الملك ، ولا تصدق الأنباء التى تقول غير ذلك . وإذا لم يتراجع الملك فورا عن قراره ، فإننى لا أستبعد أن يحدث انقلاب .

* يدخل الاثنان المكتب ويجدان كريم ثابت . محمد هاشم يقترح بحث هذه المسألة فى مكان غير الوزارة . ويستقر الرأى على منزل

مصطفى أمين . كريم ثابت يقترح استدعاء محمد حسن الشماشرجى ويقول إنه أسهل وسيلة لنقل الصورة إلى فاروق وإقناعه بها .

* محمد هاشم يستدعى مدير مكتبه طه عبد المطلب ، ويطلب إليه التوجه سرا إلى منزل محمد نجيب فى الزيتون . ويرجوه أن يصحبه معه إلى منزل الدكتور هاشم وبملابسه الملكية زيادة فى الكتمان.

* * *

« بعد منتصف الليل فى منزل مصطفى أمين »

* مناقشات مستمرة حول خطورة الحالة فى الجيش . محمد هاشم يقتنع بضرورة إخراج حسين سرى عامر ، وإجابة مطالب ضباط الجيش وتعيين محمد نجيب وزيرا للحربية .

* * *

« عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل يستأذن محمد هاشم فى الانصراف إلى منزله لمقابلة محمد نجيب على أن يعود إلى منزل مصطفى أمين » .

* محمد هاشم — أنا آسف يانجيب بك إننى أزعجتك فى هذه الساعة المتأخرة .

محمد نجيب — لا أبدا . . أنا لم أكن نائما . .

محمد هاشم — هل صحيح أنك تعتزم الاستقالة . .

محمد نجيب ـ هذا صحيح ، فلست مستعداً للمرمطة ولن أقبل النقل إلى منقباد . واستمر هذا الاجتماع إلى الساعة الثالثة والنصف صباحا .

* * *

« محمد هاشم يعود إلى منزل مصطفى أمين ويستمر الاجتماع حتى الرابعة صباحا » .

وقال لى الدكتور هاشم بعد ذلك :

أنا كنت بين موقفين . كنت أخشى أن يجد محمد نجيب نفسه منقولا أو مفصولا فى الصباح هو أو غيره من الضباط ، على غير علم منا كما حدث فى حل نادى الضباط ، فيعتقد أننى كنت غير صادق معه . وقد كنت فعلا لا أضمن أى تصرف يصدر من القصر . كما أننى أردت ألا أصارح محمد نجيب بأن حسين سرى رشحه عند تأليف الوزارة وزيرا للحربية . وإننا اتفقنا فى تلك الليلة على أن يكون هو وزيرا للحربية . . أردت ألا أصارحه بهذا خشية أن يعتقد أننى أساومه واكتفيت بأن أؤكد له أننا متفاهمون على كل شىء وتركت الباقى لتقديره ولم أؤكد أن نقله غير متوقع الحدوث . ولكننى أشعرته بكل العبارات الممكنة أن حكومة حسين سرى غير راضية عن تصرفات الملك مع الجيش . ثم قلت له أعطنى كلمة من جانبك بأن لا تقوم بأى إجراء ، حتى نتقابل ثانية ، ولو فوجئ بنقله إلى منقباد. وأعطانى كلمته .

١٦ يوليو

كريم ثابت يسافر إلى الإسكندرية .

محمد هاشم يتصل بحسين سرى تليفونيا . فيطلب إليه مغادرة القاهرة بالسيارة . وفى الإسكندرية يطلعان حسين سرى على تفصيلات الموقف الخطير .

١٧ يوليو

الملك يطلب تعيين حسين فريد وزيرا للحربية ويرفض إخراج حسين سرى عامر .

رئيس الوزارة يرفض محذرا من خطورة الموقف .

١٨ يوليو

حسين سرى يرشح محمد نجيب وزيرا للحربية ، ويعطى مهلة ٢٤ ساعة لإجابة الطلب . الملك يرفض .

حسين سرى يطلب إخراج حسين سرى عامر .

الملك يقبل . ولكن بشرط إخراج محمد نجيب أيضا . .

حسين سرى يرفض ويطلب من كريم ثابت كتابة مذكرة إلى الملك بتفصيلات الحالة .

١٩ يوليو

حسين سرى يعرض الحل الأخير . يبقى محمد نجيب فى مكانه . يخرج حسين سرى عامر . يترك لرئيس الوزارة الحرية المطلقة فى اختيار وزير الحربية بعد ذلك .

الملك يصمم على إخراج محمد نجيب وحسين سرى عامر معا . ويقترح تعيين محمد حيدر وزيرا للحربية[1] .

حسين سرى يرفض ويخطر حافظ عفيفى بأنه قرر الاستقالة .

* * *

* فى مكتب محمد هاشم وزير الداخلية ، عند منتصف الليل .

الصحفيون يسألون عن الأخبار فيجيب : لاشىء .

أحدهم يقول : لقد سمعنا أن الوزارة ستستقيل وأن هناك أزمة بسبب الجيش .

محمد هاشم : لا أعلم شيئا عن هذ الموضوع .

* * *

(١) هذا هو الحبل فى تصرفات فاروق . كان منذ أيام مصمما على طرد حيدر وهو الآن يقترح تعيينه وزيراً للحربية . أما قبوله إخراج حسين سرى عامر فقد تصور أنها مناورة لخدعة الضباط الأحرار فى الجيش ، يستفيد مقابلها إخراج محمد نجيب الذى كان فاروق متصورا أنه زعيم الضباط الأحرار ..

محمد هاشم يعود إلى منزل حسين سرى فى الساعة الواحدة والنصف صباحا . وقد ذهبت للقائه فى ذلك الوقت ، وجلست معه فى الشرفة الخلفية أسأله عن تطورات الموقف .

قال لى محمد هاشم : لو أن الضباط المتزعمين لحركة التذمر فى الجيش ، من العناصر الفاسدة لكان من السهل زجرهم والتخلص منهم بأى وسيلة . ولكنهم فى الحق — على حسب المعلومات التى تلقيناها — يمثلون الضباط الشرفاء الذين يدافعون عن كرامة الجيش حرصا على الصالح العام يجب أن تجاب مطالب العناصر النظيفة .

قال لى هذا ردا على اقتراح تقدم به محمد وصفى رئيس حرس الوزارات بالقبض على عشرة ضباط رأى محمد وصفى أنهم زعماء الحركة[1]

* * *

وحوالى الساعة الثانية بعد منتصف الليل سمعنا وقع أقدام عسكرية وسمعنا صوتا يسأل الباشا موجود ؟

والتفتنا فرأينا محمد حيدر بملابسه المدنية يطرق الباب .. ونزل إليه محمد هاشم ، وعاد إلى فى الشرفة بعد حوالى نصف ساعة .

---

(١) انتحر محمد وصفى بعد نجاح ثورة ٢٣ يوليو . لقد وصل إليه نبأ بأن مجلس الثورة اكتشف بأن له يداً فى تدبير مقتل حسن البنا مرشد الإخوان المسلمون ، وأن اعتقاله سيتم بعد لحظات .

فسألته : هل من جديد ؟ . هل انصرف حيدر ؟

فقال : لا . . لم ينصرف . وهو يطلب منى الآن أن أوقظ حسين سرى ليتحدث إليه . .

سألته : ماذا يقول ؟

محمد هاشم : يقول إنه جاء رسولا من عند الملك لحل الأزمة . وهو ينصحنى بعدم التمادى . وكل اللى حوالين الملك بيقولوا له إن محمد هاشم هو السبب وهو الذى يستطيع أن يقنع حسين سرى بالعدول عن موقفه . وقال له حيدر : إنت عاوز تعمل عرابى تانى فى مصر .

— وماذا أيضا ؟

— إنه يقول إنه لا يقبل أن يعين محمد نجيب وزيرا للحربية . وإنه إذا عين يستقيل فورا . أنا مستغرب على الراجل ده . منذ أيام كان يشكو من الملك الذى كان مصمما على إخراجه . . وها قد لوح الملك له بالوزارة فإذا به ينقلب على النقيض.. وهو يقول لى إنه يرحب بى وزيرا للحربية . ويتعاون معى وأن الأمور ستسير فى هدوء بخروج حسين سرى عامر ومحمد نجيب

سألت الدكتور هاشم — وماذا أجبته ؟

قال : قلت له إن سرى باشا مصمم على الاستقالة . ولن يعدل عنها .

فطلب منى أن أوقظه وأساعده فى إقناعه . ولكننى قلت له إن من الصعب إيقاظ سرى باشا فى هذه الساعة . . . ما رأيك ؟

قلت : إن الظرف خطير . . . وما دام حيدر مبعوثا من الملك . فعليك أن تبلغ سرى باشا الرسالة .

ثم قال الدكتور هاشم : إن حيدر يقول لى إننى لا أزال شابا وفى مقتبل حياتى السياسية ويهمنى أن أكون على علاقة طيبة مع الملك الذى يطلب إلى أن أشترك مع حيدر فى إقناع حسين سرى .

فقلت للدكتور هاشم : وماذا كان ردك ؟

قال لى : قلت له إن الولاء للملك من ناحية والإخلاص للبلد من ناحية أخرى ، لا يتحققان إلا فى الموقف الذى يقفه حسين سرى الآن . وأن العدول عن هذا الموقف فيه ضرر محقق .

وتركنى الدكتور هاشم وعاد بعد أقل من عشر دقائق ليروى لى : أيقظت سرى باشا ، وقلت له إن حيدر فى الصالون يريد أن يقابلك وأبلغته رسالة حيدر . فكان رد حسين سرى . . قل لحيدر إننى غير مستعد للقاء أحد فى هذه الساعة ... وإننى لن أعدل عن رأيى . محمد نجيب يبقى فى مكانه ، وحسين سرى عامر يفصل . وأنا مطلق الحرية بعد ذلك فى إختيار وزير الحربية .

وأضاف الدكتور هاشم : ثم التفت إلى سرى باشا وقال . . .

يجب أن تعلم أننى سأختارك أنت بالذات وزيراً للحربية . .

وانصرف محمد حيدر وقال لهاشم قبل انصرافه أن شخصا اتصل تليفونيا ببلوك الملك وأبلغه أن محمد هاشم عقد مؤتمرا صحفيا أذاع فيه أن الجيش ثائر وأن وزارة حسين سرى قدمت استقالتها .

* * *

٢٠ بولبو

الساعة الثامنة صباحا ، حيدر فى منزل حسين سرى الذى قابله بالروب .

حيدر — يا باشا إنت تعرف إحترامى ليك . .

سرى — إسمع . . إحنا فى موقف جد وخطير . . فيه تذمر فى الجيش . وأنا مؤمن بأنه سينقلب إلى ثورة من ساعة إلى ساعة .. وهذه الثورة ستأكل الأخضر واليابس . وأنا استقلت ولن أعدل عن استقالتى . ومافيش داعى لأى كلام فى الموضوع .

ووقف وسلم على حيدر الذى انصرف .

الساعة الخامسة مساء

حسين سرى يدعو الوزراء ويبلغهم تفصيلات الموقف ، فيجد منهم تأييدا مطلقاً .

٢٢ يوليو

حافظ عفيفى يزور حسين سرى ليسلمه جواب قبول استقالته . وكان جافا عنيفا فيه اتهام لحسين سرى بأنه هرب من الموقف .

حافظ عفيفى يقـول لحسين سرى : يا باشا إنت معاك حق فى موقفك . لـكن أنا أعمل إيه إذا كانت البلد بيحكمها خدام .

* * *

فى المساء يعـلم حسين سرى أن الملك كان قد أعد كتابا غير الـكتاب الذى أرسل إليه بقبول الاستقالة يحوى شتائم صريحة إلى رئيس الوزارة المستقيل . فقال مدير الإدارة العامة بالقصر وأيده حافظ عفيفى « إن كرامة الملك لا تسمح له بتوقيع كتاب بهذا الأسلوب » . وكان الـكتاب يبدأ بالعبارة الآتية : حضرة حسين سرى .

* * *

واتجه فاروق إلى نجيب الهلالى من جديد ليؤلف الوزارة . .

وزارة اليوم الأخير...

٢١ يوليو

العاشرة صباحا

بدأ صباح ٢١ يوليو بمحاولات فاشلة مع نجيب الهلالى لإقناعه بتأليف الوزارة .

قال : لقد قررت أن أبقى فى صومعتى . .

قيل له : أن الفرصة الآن سانحة لأن تحكم كرئيس وزراء دستورى . وقد خرجت من الحكم احتجاجا على دسائس وتدخل رجال الحاشية . . وأنت الآن تعود إلى الحكم وأنوفهم فى الرغام .

ثم زاره حافظ عفيفى فى منزله . وأبلغه أن الملك يكلفه بتأليف الوزارة الجديدة .

فقال له الهلالى : المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين .

فرد حافظ عفيفى : لقد تغيرت الأوضاع . ووعد الملك بأن يلتزم حدوده وألا يمكن غير المسئولين من شئون الحكم .

فقال الهلالى : سأفكر .

واتفقا على أن يلتقيا فى منزل عبد الخالق حسونة بعد الظهر .

الواحدة بعد الظهر

تناول الهلالى طعام الغداء فى منزل فريد زعلوك . واتفقا على أن يتقدم الهلالى بشروط واضحة محددة ، إذا قبلت جميعا فإنه يؤلف الوزارة . الشروط هى :

١ — إخراج كريم ثابت من الإذاعة .

٢ — أن يكون حافظ عفيفى هو الرسول الوحيد بين الوزارة والقصر .

٣ — أن يختار الهلالى وزراءه كما يشاء دون تدخل .

٤ — إبعاد العناصر الفاسدة من رجال الحاشية .

٥ — إلغاء الأحكام العرفية على أن تقرر الوزارة الجديدة موعد الإنتخابات بدون تدخل من القصر[1] .

الثالثة بعد الظهر

حافظ عفيفى يعرض اسم القائمقام إسماعيل شيرين زوج الأميرة فوزية وزيرا للحربية على نجيب الهلالى . .

الهلالى يرفض ، فيقول حافظ عفيفى : إنه شاب مستقيم ، وهو الوحيد الذى يصارح الملك بنقائصه ولا يشاركه فى لهوه وعبثه . ولذلك فهو لا يحبه وإن كان يحترمه ويخشاه . ثم هو محبوب من ضباط الجيش . .

الهلالى يتردد ويقول إنه يخشى أن يؤول تعيينه فى هذه الظروف تأويلات أخرى .

الرابعة بعد الظهر

الهلالى يتصل بصلاح الشاهد تشريفاتى الرياسة ويطلب إليه الحضور فوراً إلى منزله . .

(١) أقر الملك كل هذه الشروط عندما قابل نجيب الهلالى بعد أن رأى الخطر يحدق به من كل جانب بل يهدده فى كل دقيقة ، وأراد أن يطمئن نجيب الهلالى كتنفد له من الهلاك فقال له : إعتبر عودتك إلى الوزارة رد اعتبار لاستقالتك الأولى .

الهلالى : لعلك دهش يا صلاح ، إننى خرجت عن صومعتى وقبلت الوزارة بعد أن قلت لك أكثر من مرة إننى لن أغادرها . .

صلاح : لقد عرفت كل شىء يا افندم من أصيلة هانم . إتصلت بى اليوم وقالت لى أن الرجل النظيف آت إلى الوزارة .

الهلالى : إننى لم أقبل الوزارة إلا بعد أن قبلت كل شروطى ..

صلاح : إن شاء الله خير يادولة الباشا .

الهلالى : أرجوك أن تستدعى جميع أعضاء الوزارة السابقة ما عدا غزالى وصليب سامى[1] .

السابعة مساء

* بدأ البحث عن وزراء للأشغال والزراعة والصحة . . . ووزير قبطى .

قيل لنجيب الهلالى إن الأستاذ يوسف سعد المفتش بوزارة الأشغال خير من يصلح لوزارة الأشغال . فاتصل به تليفونيا وعرض عليه الإشتراك فى الوزارة وقبل .

(١) لم يستدع الهلالى أيضاً نجيب إبراهيم وزير الأشغال فى وزارته الأولى ثم وزير الأشغال والمالية فى وزارة حسين سرى . وقال الهلالى أنه لن يتعاون مع وزير جلس إلى جوار كريم ثابت فى مجلس الوزراء .

ثم عاد البحث عن وزير قبطى ثان . فاقترح الزميل على حمدى الجمال — وكان فى منزل الهلالى — اسم مريت غالى ، فاذا بكل الحاضرين يرحبون به . وقال الهلالى : لقد رشحته فى وزارتى الأولى.

واتصل به رئيس الوزراء فطلب إمهاله بعض الوقت . وبعد ساعة أبلغ قبوله . ثم بدأ البحث عن وزير للزراعة . وكان المرشح لهذا المنصب محمد سعيد لطفى ثم عرف أنه فى الخارج . فعرضت أسماء كثيرة لم يقبلها الهلالى . والطريف أنهم أحضروا « الدليل المصرى» للبحث عن اسم يصلح وزيرا للزراعة . وقفز اسم حسن كامل الشيشينى . وطلب من رجال « البوليس الخصوص » أن يعثروا عليه.

وكان الهلالى يتصل بحافظ عفيفى بعد الاتصال بكل وزير جديد ويبلغه قبوله .

ثم ثارت أزمة . . لقد وضع الهلالى اسم مرتضى المراغى وزيرا للحربية . فقال حافظ عفيفى : ولكننا اتفقنا على اسم اسماعيل شيرين الهلالى . أنا لم أقبل .

عفيفى : ولكنى فهمت من حديثك معى أنك قبلت . ولقد أبلغت الملك ذلك .

الهلالى : لقد فهمت خطأ .

عفيفى — فى هذه الحالة أنا مضطر لتقديم إستقالتى ، لأننى لا أستطيع أن أغير ما أبلغته للملك .

وكانت أزمة .

وقال الهلالى إنه لن يؤلف الوزارة . وتدخل أصدقاء الطرفين . وقيل للهلالى إن إسماعيل شيرين محبوب من ضباط الجيش .

فقال : لقد قابلته لأول مرة فى الوزارة السابقة مقابلة طويلة . وجرى الحديث عن مشكلة اللاجئين ، وعن مشكلة فلسطين . فأثار إعجابى . فهو فاهم للمشكلة واع بأسرارها وقد بسطها لى فى عرض رائع . . . حتى أننى رويت لأولادى على مائدة الغداء تفصيلات هذه المقابلة وقلت لهم إننى كنت أتصوره شابا عاديا . .

واعتراضى عليه فقط ، خشية أن يثير تعيينه نفوس ضباط الجيش . .

فأكد المستمعون للهلالى أن اسماعيل شيرين محبوب محترم من زملائه الضباط .

فقبل الهلالى وهو يقول : على خيرة الله .

وكانت الساعة قد جاوزت منتصف الليل . وصعد رئيس الوزراء إلى غرفته ليستريح .

كان الهلالى فى ذلك اليوم أسعد ما يكون الإنسان .

دخل الوزراء الجدد قاعة الملك . بعضهم قبل يده . وبعضهم لم يقبلها .

لم يقبلها الهلالى وطه السباعى وزكى عبد المتعال وسيد شكرى ومريت غالى وطراف على . . وبعد أن أقسموا اليمين قال الملك : أتمنى لكم التوفيق . ولو أنه فيه واحد منكم من اللى كتبوا العريضة إياها ولم يعتذر .

وكان يشير بذلك إلى طه السباعى .

فقال نجيب الهلالى : يامولاى . لقد كان وزيرا معى فى وزارتى السابقة . وأقسم يمين الولاء .

ولم يعتذر طه السباعى ، بل وقف ينظر إلى الملك السابق متأملا .

وهذا يقطع فى الدلالة على أن الملك لم يكن جادا عندما قبل شروط الهلالى . فهو يطلب الإعتذار من رجل وقع عريضة يحتج فيها على تدخل الوسطاء وغير المسئولين . بل هو ينال منه أمام جميع الوزراء وفى غطرسة . . فى الوقت الذى تظاهر فيه بالاستجابة إلى مطلب الهلالى بابعاد الوسطاء وغير المسئولين من بلاطه . .

السادسة مساء

*أراد نجيب الهلالى أن يعقد مجلس الوزراء فى المساء . وقال إنه يريد أن يقرأ الناس فى الصباح : أن الوزارة قررت إخراج كريم ثابت من الإذاعة وإبعاد إلياس إندراوس من القصر .

فقيل له : فليكن هذا الأمر غدا . إسترح الليلة لتبدأ العمل فى الصباح .

العاشرة والنصف

جاءت الأنباء إلى الإسكندرية بأن طلائع الثورة تغزو شوارع القاهرة .

رواية فريد زعلوك

وروى لى الأستاذ فريد زعلوك كيف واجهت وزارة الهلالى الثانية أنباء وقوع ثورة فى الجيش فقال :

تلقيت أول أخبار عن ثورة الجيش فى الساعة العاشرة والنصف من مساء ٢٢ يوليو . كانت اجراءات حلف اليمين قد انتهت حوالى الخامسة بعد الظهر وقصدت بعد ذلك إلى منزلى . ثم اتصل بى نجيب الهلالى تليفونياً وأبلغنى بما وصل إلى علمه . قال لى : إن مرتضى المراغى

وزير الداخلية تلقى أنباء تقول أن هناك حركة غير عادية بين قوات الجيش فى القاهرة ، مما يوحى بأن بعض القوات تنوى القيام بثورة . وقد أبلغه أحمد طلعت من وزارة الداخلية فى القاهرة أنه يستطيع القبض على قادة هذه الحركة وأن أسماءهم قد عرفت .

وقال لى الهلالى أنه طلب من مرتضى المراغى عدم اتخاذ أى إجراء مضاد .

وفى الساعة الثالثة والنصف صباحاً فوجئت بالتليفون يرن مرة أخرى فى منزلى ، وكان المتحدث هو اللواء محمد نجيب . وقال لى : لقد اتصل بى مرتضى المراغى وزير الداخلية وأبلغنى أن هناك حركة فى الجيش وطلب منى أن أحاول تهدئتها . . فماذا أفعل؟ . .

فقلت له : إذا كان عندك استعداد روح . .

فقال : أنا لاأستطيع إتخاذ أى إجراء إلا إذا تلقيت أمراً كتابياً . .

فقلت له : تصرف فى حدود مسئوليتك كما تقدرها أنت . وإذا كان الوزير الذى أصدر إليك الأمر فى الإسكندرية فما هى الوسيلة لكى يبلغك أمره كتابياً ؟ ..

فقال : على كل حال أنا موجود فى منزلى .

ثم أعطانى رقم تليفونه فى المنزل ، وطلب منى أن أتصل به إذا عن لى ذلك .

وانتهت المكالمة . وقررت أن أتوجه فوراً إلى منزل نجيب الهلالى فى سيدى بشر ، لأطلب إليه أن نتابع الموقف من مكتبه فى دار الوزارة ببولكلى. وقدت سيارتى ، وفكرت فى الطريق أن أتوقف فى بولكلى ، فوجدت مرتضى المراغى فى مكتبه . فسألته عن الأخبار فقال لى أنه يتابع الاتصالات لمعرفة الأخبار . وأظهر امتعاضاً لوجودى المفاجىء . وفهمت بعد ذلك سبب هذا الامتعاض. لقد كان مرتضى المراغى على اتصال بالقصر أول بأول ، وكان لا يريد لى أن أحضر هذه الاتصالات ومايدور فيها .

فتركته . . ولم أقل له أننى عائد مع رئيس الوزراء .

وفعلا . . انتظرت الهلالى حتى ارتدى ملابسه ، وركب إلى جوارى فى السيارة .. ووصلنا إلى مكتبه وكانت الساعة قد جاوزت الرابعة والنصف صباحاً بقليل .

وسمعنا أن قوات الثورة استولت على محطة الإذاعة . وإنها ستذيع بياناً فى السابعة صباحاً .

وطلب نجيب الهلالى من إسماعيل شيرين وزير الحربية أن يتصل

تليفونياً بالملك . فطلب الرقم وتحدث إلى الملك ثم أعطى سماعة التليفون إلى الهلالى . وتحدث الهلالى حديثاً قصيراً طلب فيه من الملك أن يفوضه فى أن يتصل بالقوات الثائرة وأن يبحث معهم مطالبهم ، فأعطاه الملك تفويضاً كاملا لمواجهة الموقف .

وفى الساعة السادسة والنصف صباحاً ، طلب نجيب الهلالى التحدث إلى اللواء محمد نجيب فى قيادة الجيش بالقاهرة . لقد طلبناه بالمنزل ولم نجده . فطلبناه فى القيادة . وكانت الأخبار قد توالت بأن القوات البريطانية فى القنال تقدمت نحو القاهرة . وكان نجيب الهلالى يخشى أيضاً وقوع أى صدام بين قوات الجيش المصرى . فتحدث إلى اللواء محمد نجيب وقال له : إنه أصدر أوامره إلى قوات البوليس بعدم التعرض مطلقاً لقوات الجيش الثائرة . كما قال له أنه يطلب إليه العمل على تجنب أى احتكاك بين قوات الجيش المصرى نفسها لتجنيب البلاد إراقة الدماء .

ثم قال له نجيب الهلالى : إذا كان لكم مطالب . . أنا مستعد للحضور فوراً فى طيارة عسكرية . وأنا مفوض بالتفاهم معكم . وسأفهم ردكم من إذاعة البيان فى الإذاعة الساعة السابعة . إذا أذيع البيان ، فمعنى ذلك بالنسبة لى أنكم ترفضون التفاهم . .

وانتهت المكالمة .

وتأخرت إذاعه البيان عشرين دقيقة .

ولما أذيع البيان . قال لنا الهلالى : خلاص أنا مش رايح .

فطلب مرتضى المراغى أن يسافر على الطائرة إلى القاهرة لمحاولة الاتصال بقيادة الثورة .

ولكن الهلالى طلب إليه عدم السفر . . وألح مرتضى المراغى فقال له الهلالى . . سافر بشرط التزام الأوامر التى أصدرتها .

وبقينا حتى الساعة الحادية عشر صباحاً بدون أى إتصال بالثورة . . وكان كل الوزراء قد توافدوا على قاعة مجلس الوزراء .. وكان الموقف لايزال غامضا بالنسبة للجميع .

واقترحت أن أتصل باللواء محمد نجيب كمحاولة أخيرة لتحديد الموقف . فطلبته فى القيادة .

وقلت له : خلينا نتكلم بصراحة وبدون كلفة . إحنا عاوزين نعالج الموقف للمصلحة العامة . نريد أن نعرف مطالب الثورة وموقفها من الحكومة المسئولة . .

وكان الرد أن الثورة لها اعتراض على شخصين فى الوزارة هما إسماعيل شيرين وزير الحربية ومرتضى المراغى وزير الداخلية . . والثورة تفضل وزارة يرضى عنها الجميع ولم تظهر أنها متحيزة لفريق ضد فريق . . وأن الاختيار للوزارة الجديدة متجه إلى على ماهر . .

وانتهت المكالمة وقال نجيب الهلالى للوزراء : الموقف الآن أصبح واضحاً . وما يجب أن نعمله هو الاستقالة .

وبدأ نجيب الهلالى يكتب خطاب الاستقالة . واقترح بعض الوزراء أن ينص فى خطاب الاستقالة على أن الوزارة تقدم استقالتها على الرغم من أن أهدافها هى نفس الأهداف التى قامت من أجلها ثورة الجيش . ولكن الهلالى رفض ذلك وفضل أن تكتب الاستقالة عادية ، حتى لايفسر موقف الوزارة على أنه : مع أو ضد « الحركة »[1] . .

ثم اتصلت تليفونيا بمرتضى المراغى فى القاهرة ، وكان قد اتخذ مكتب وزير الحربية مقرا له .

وسألته عن تطور الموقف فى القاهرة فقال إنه على اتصال بقيادة الثورة فى مبنى قيادة القوات المسلحة . وأنه يطلب اليهم

---

(١) قال لى الدكتور سيدشكرى وزير الصحة فى هذه الوزارة أن أحد الوزراء قال لنجيب الهلالى وهو يقرأ نص الاستقالة : يجب استئذان الملك أولا فى الاستقالة وقد صاح الدكتور سيد شكرى : ما هذا ؟ . . ماذا تقول ؟ . . استئذان إيه وبتاع إيه ؟ . . البلد فى ثورة .

كما قال لى أنه اقترح هو ومريت غالى أن يتضمن كتاب الاستقالة عبارة تفيد الأسف لأن برنامج الحكومة يتفق مع المطالب التى يريدها الجيش . فرفض الهلالى إضافة هذه العبارة قائلا إن فيها « دفاعا عن أنفسنا » . .

الحضور إلى مكتبه ، وهم يطلبون إليه الحضور اليهم . وأن المفاوضات لا تزال مستمرة .

فأبلغته باسم نجيب الهلالى أن الوزارة قدمت استقالتها ، وأنه لا داعى لمتابعة الاتصال ، وأنه مطلوب منه أن يحضر إلى الإسكندرية .

والواقع أننا طلبنا منه الحضور خوفا عليه من الاعتقال .

ولكن اتضح لنا فيما بعد أن كل الإجراءات التى اتخذها مرتضى المراغى ، كان يقوم بها بالإتفاق مع القصر دون إخطار الوزارة بها . وكان دائم الإتصال بالقصر بعد كل خطوة يخطوها .

وحوالى الظهر توجه نجيب الهلالى إلى قصر المنتزه لمقابلة الملك .

الحديث التاريخى

واستقبله فاروق مرتديا عباءة حمراء ، وكان بادى الاضطراب والارتباك .

وشرح نجيب الهلالى للملك كل ما دار منذ العاشرة والنصف من المساء ، حتى قررت الوزارة تقديم استقالتها .

وقال له : إننى أنصح جلالتك أن تتجنب أمرين : الاتصال بالانجليز أو بالأمريكان وأرجو أن تتذكر مأساة توفيق .

فأجاب الملك بأن مستر كافرى السفير الأمريكى اتصل به فعلا ولكنه رد عليه بأن الحركة بسيطة وسيقضى عليها فى وقت قليل .

ثم سأل الملك نجيب الهلالى : من ترشيح لرياسة الوزارة ؟ .

فأجاب الهلالى : أعتقد أن الثورة اتفقت فعلا مع على ماهر ليرأس الوزارة الجديدة .

فقال الملك : مستحيل . .

فسأله الهلالى : لماذا ؟ . .

فقال الملك : لقد اتصل على ماهر تليفونيا بالقصر ، وطلب أن يتحدث إلى مباشرة ، فتحدثت إليه وقال لى بالنص « إن بعض ضباط الجيش زاروه فى منزله فى الساعة الخامسة والنصف صباحا ، وطلبوا إليه أن يؤلف الوزارة ولكنه رفض وطردهم من منزله وقال لهم أنه لا يقبل تكليفاً بتشكيل الوزارة إلا من سيد البلاد »

فقال الهلالى : تأكد ياجلالة الملك أن على ماهر بدأ إختيار وزرائه فعلا .

فقال الملك : مستحيل . . أنا أعرف على ماهر من زمان . .

فقال الهلالى : تأكد مما أقول . وأنا أعرف منك بعلى ماهر . هذا هو أسلوبه .

ونصح نجيب الهلالى الملك فى هذه المقابلة بأن يتنازل عن العرش لطفله مع تأليف مجلس وصاية .

* * *

وانتهت المقابلة بعد حوالى ثلث ساعة . وعاد نجيب الهلالى إلى دار الوزارة فى بولكلى وأبلغ الوزارة بأن إستقالة الوزراء قبلت وأن الملك كلف على ماهر بتأليف الوزارة الجديدة .

وطلب الهلالى من حافظ عفيفى أن يتصل بعلى ماهر ، ويكلفه بتأليف الوزارة وكان حافظ عفيفى ينتظر الهلالى فى بولكلى .

واتصل حافظ عفيفى بعلى ماهر تليفونياً . فرد عليه على ماهر بجفاء وقال إنه لم ينته بعد من تأليف الوزارة . وطلب إليه أن يعاود التحدث معه بعد ساعة ليملى عليه أسماء الوزراء .

وبعد ساعة ، طلبه حافظ عفيفى . . فرد على ماهر بأن مشاوراته لا تزال مستمرة . وطلب إليه أن يتصل به مرة أخرى فى الخامسة مساء . وطلبه حافظ عفيفى فى الخامسة مساء وقال له : الموقف خطير ويستدعى السرعة من رفعتك . .

فقال على ماهر : على كل حال . . الموقف فى يدى . وأنا بكرة جاى ومعى أسماء الوزراء .

واستمر الوزراء « السابقون » مجتمعين مع نجيب الهلالى حتى

السابعة مساء . وخشوا أن يكون مرتضى المراغى قد اعتقل . وكان إنتظارهم من أجله . ثم عرفوا أن المراغى وصل إلى منزله فى الاسكندرية . قادما إلى القاهرة فى سيارة بالطريق الزراعى .

وإلى هنا انتهت رواية الأستاذ زعلوك[1] .

* * *

وكان الشعب منذ الصباح الباكر يتجمع فى كل شوارع وميادين القاهرة والاسكندرية يصفق ويهلل . ويتكتل حول أجهزة الراديو فى القاهرة وحول أكشاك السجائر . . ليستمع إلى بيان الثورة ويهتف بالجيش . .

حيدر يحذر

وفى الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٣ يوليو استدعى الفريق محمد حيدر كبار ضباط الجيش فى الاسكندرية وقال لهم :

---

(١) خلال إجتماع نجيب الهلالى بوزرائه فى الصباح ، وقبل تقديم الإستقالة اتصل الطيار مصطفى صادق عم الملكة ناريمان تليفونيا باسماعيل شيرين وزير الحربية . وقال له إنه قصد إلى قيادةالثورة ، وعرف أن الثورة اختارت على ماهر لرياسة الوزراء . وأن الثورة لها مطالب عسكرية وسياسية .

وقال وزير الحربية للوزراء : الغريبة إن كان عندنا اخبار بأن فيه دوشة حتحصل . واتخذنا إحتياطات . وإذا بالقوات المكافة بحفظ النظام تنضم إلى القوات الثائرة .

كل واحد منكم مسئول عن قطاعه . إن ما حدث فى القاهرة من بعض الضباط هو مجرد زوبعة فى فنجان .

وعاد كبار الضباط إلى مكاتبهم فى معسكرات الاسكندرية . . واستطاع الضباط الشبان إعتقالهم فى نفس المعسكرات . .

وقرر الضباط الأحرار فى الاسكندرية اعتقال حيدر بعد الظهر واتصل أحدهم بفندق سان ستيفانو تليفونيا وطلب التحدث اليه . ولما سئل من هو ؟ قال : أنا حفنى محمود .

فأمسك محمد حيدر بالسماعة . ليتحدث إلى من تصور أنه حفنى محمود .

وأقفل الضابط السماعة على الفور. فقد كان المقصود هو التأكد من وجود حيدر فى الفندق . وبعد دقائق وصلت سيارة عسكرية إلى فندق سان ستيفانو وتم إعتقال حيدر .

وكانت كل معسكرات الجيش فى الاسكندرية قد أعلنت تأييدها للثورة واستولى على زمامها الضباط الأحرار . وكانت تعليمات جمال عبد الناصر : كل شىء يجب أن يتم بهدوء دون إراقة دماء . ودون عمليات إستفزازية .

وكان الضابط الذى تلقى هذه التعليمات من جمال عبد الناصر هو أحمد حمروش « مدير مؤسسة المسرح والموسيقى الآن » .

٢٤ يوليو

وغادر على ماهر القاهرة فى قطار الثامنة صباحا متجها إلى الإسكندرية . ودعه بعض ممثلى الثـوار من ضباط الجيش . كان موعد سفر على ماهر مجهولا . ولـكن الجماهير تزاحمت فى فناء المحطة تهتف للجيش وللحرية .. هتفت الجماهير من أعماقها فى حماسة متدفقة . ولم يستطع على ماهر أن يقاوم الدموع التى انسابت من عينيه .

سافر معه من الوزراء إبراهيم عبد الوهاب وسعد اللبان وزهير جرانة .

وفى القطار كان على ماهر يقرأ المذكرة التى تسلمها من قيادة الثورة بمطالب الجيش .

وكان أولها إخراج جميع رجال الحاشية .

وكان على ماهر ووزراؤه يعتقدون حتى هذه اللحظات أن الأمر سيقتصر على إجابة هذه المطالب .

ووصل إلى الإسكندرية ، حيث قصد إلى فندق سان ستيفانو ، ومن هناك اتصل بالقصر وعرف أنه سيقابل الملك فى الساعة الواحدة .

وزاره فى الفندق بعض أقطاب الوفد ، الذين قصدوا إلى رأس

التين وقيدوا أسماءهم فى سجل التشريفات بعد هذه الزيارة . كما زاره إبراهيم عبد الهادى .

وقد بسط لهم على ماهر مجريات الأمور . وكان محيي الدين فهمى سكرتير عام مجلس الوزراء ، وابن عم على ماهر ، قد دعاه وأعضاء الوزارة الجديدة لتناول الغداء فى منزله وكان مدعوا أيضا أدجار جلاد صاحب جريدة الزمان والجورنال ديجيبت . .

وعاد على ماهر من القصر حوالى الساعة الرابعة بعد الظهر ، وانفرد طويلا بادجار جلاد ، وأطلعه على تفصيلات المقابلة قبل الغداء . . وكان ادجار جلاد هو الساعد الأيمن لعلى ماهر منذ عرضت عليه الوزارة .

* * *

وفى الساعة السادسة عقد مجلس الوزراء ودعا على ماهر مندوبى الصحف ليتلو عليهم بيانا جاء فيه أن جلالة الملك تفضل ووافق على معظم مطالب الجيش .

وعرف وقتئذ أن الملك تمسك بكل من محمد حسن وبوللى

ثم عاد على ماهر وطلب من مندوبى الصحف أن يعدلوا هذا التصريح ، وأن يذكروا أن الملك وافق على جميع مطالب الجيش . .

إن الذى حدث بعد ذلك ، هو أن الجيش صمم على جميع طلباته .

واتصل على ماهر بالقصر ، وأبلغ الملك ضرورة إقرار جميع المطالب . وخضع الملك .

وجاء حافظ عفيفى فى اليوم التالى إلى مكتب على ماهر ، وقدم استقالته وقال له :

— رجاء لى يا باشا أن لاتعلن إستقالتى مع باقى رجال الحاشية الذين طلب الجيش إخراجهم .

وعاد على ماهر إلى سان إستيفانو .

عاد ليستيقظ حتى الفجر .

تقدم إليه رئيس حرس الوزارات بينما كان يتناول طعام العشاء، وأبلغه أن الخطوط التليفونية بين القاهرة والإسكندرية قدقطعت.

فانزعج على ماهر وترك المائدة وهو يقول : ولكن . . ليه؟ . إيه اللى حصل ؟ ... فاضاف رئيس الحرس : ولدينا أنباء بأن قوات الجيش تتحرك من القاهرة نحو الإسكندرية فأسرع على ماهر إلى غرفة مدير الفندق . وحاول الإتصال عبثا بالقاهرة وهو يقول : لم نتفقْ على هذا . . لم نتفق على هذا . .

وعند الساعة الرابعة صباحا ، إستطاع على ماهر أن يتصل بقيادة الثورة عن طريق ثكنات مصطفى باشا . ولم يعرف شيئا .

ولم ينم على ماهر طوال الليل . .

وفى تلك الساعات وصلت أنباء جديدة إلى السيدة أصيلة والملكة

ناريمان . وقيل لهما إن الأمر أبعد من إخراج رجال الحاشية . ولم تصدقا. ولم يصدق فاروق كذلك وقال لهما : لقدأجبت جميع مطالبهم

٢٥ يوليو

حضر أنور السادات لمقابلة على ماهر فى دار الوزارة .

كانت قوات الجيش قد وصلت إلى الإسكندرية وعسكرت فى مواقع قريبة من قصرى الملك . تكلم أنور السادات مع على ماهر فى مطالب الجيش ، ولجنة الضباط ، ولم يفتح فمه بكلمة واحدة عن المفاجأة الكبرى .

مضى اليوم وفيه رائحة أحداث جديدة غير مفهومة . ولكن على ماهر كان مطمئنا إلى أن كل شىء يجرى على ما يرام . وقال أحد النواب السابقين لعلى ماهر :غدا . . سيطالب الجيش بعزل الملك . ولم يجب على ماهر بشىء . بل سأل النائب السابق عن الأسباب التى تدعوه إلى هذا التكهن .

وفى تلك الليلة سهرنا فى فندق سان ستيفانو حتى أنبثق نور الصباح . ونحن نتوقع أن حدثا ضخما سيقع بين لحظة وأخرى .

وكان الملك أيضا ساهرا مع زوجته ووالدتها وأقاربها فى قصر رأس التين . لقد انتقل من قصر المنتزه ليتحصن ضد مفاجآت الثورة .

٢٦ يوليو

الملك يتصل تليفونياً بعلى ماهر فى سان استيفانو فى الثامنة صباحاً ويسأله : هم عاوزين إيه ؟ . . . فيه ضرب نار .

على ماهر يسرع إلى رأس التين ، وينجح فى وقف إطلاق النار من القوات المحاصرة للقصر .

لقد انطلقت رصاصة من القصر فردت عليها قوات الجيش على الفور .

على ماهر يعود إلى الرياسة ، ويفاجأ بطلب من قيادة الثورة بعزل الملك على أن يغادر البلاد قبل السادسة من المساء .

السنهورى يكتب صيغة التنازل . سليمان حافظ يحصل على توقيع الملك .

السفير الأمريكى يرجو تأمين حياة الملك .

على ماهر يطلب وداعاً رسمياً للملك . ويرفض طلب رجال الصحافة أن يشهدوا اللحظات الأخيرة .

* * *

وهدرت شوارع الإسكندرية منذ الصباح ، بكتل الشعب التى أخذت تتجمع وتلتقى عند الفناء الفسيح أمام قصر رأس التين .

وبدا القصر من بعيد . بدا فى بنائه كقلعة من قلاع القرون الوسطى . وكان يمتد أمامه طريق طويل يسير هابطاً من المرتفع حتى مشارف شارع الكورنيش التى حصنت فى دائرة كبيرة بجنود الجيش . والدبابات . والمدافع . وكان الطريق الطويل خالياً . خالياً تماما إلا من ثلاث سيارات طوته صاعدة على عجل . وكان كل من فيها صامتين . رئيس الوزراء . ثم السفير الأمريكى ثم الأميرتان فايزه وفوزية . واختفت السيارات الثلاث بمن فيها داخل القلعة .

وبدت نوافذ سور القلعة المرتفع . . . بدت نوافذه الصغيرة خالية إلا من وجه أو وجهين يرقبان جموع الشعب الثائر الصاخب الصائح ، وراء حصار الجند والدبابات والمدافع مصوبة فوهاتها إلى الحصن المنهار .

رجال وكهول ونساء وأطفال . آلاف تندفع وراء آلاف ، تجمع بينهم وجوه مهللة ، وصرخات مدوية ، وهتافات ترعد أصداؤها فى الفضاء .

كانوا لا يرون شيئاً مما يجرى وراء سور القلعة الرهيبة . ولكنهم رأوا ، عند الساعة السادسة تماما ، العلم الأخضر الكبير ، الذى كان يرتفع فوق أعلى مكان فى قلعة الملك رأوا هذا العلم ، ينسلخ من ساريته ، ويهبط رويداً رويداً حتى يختفى .

فعرفوا أن الطاغية قد ذهب .

فاذا بكل هذه الآلاف ، تقفز فوق أرض الطريق ، وكأن موجة عنيفة قد رفعتها ، ثم تضرب الأرض بأقدامها . سريعا . سريعا . وتعود وتقفز ثم تدب على الأرض . وتهتز وتهلل . وتصيح . إلى الجحيم . إلى الفناء . إلى الموت . .

* * *

وانتهى عهد فاروق . .

الثورة هى الحل الحتمى

وبعد . .

فلقد قدمت هذا التحقيق الصحفى عن أسرار الحكم فى مصر منذ ٢٦ يناير ١٩٥٢ إلى ٢٦ يوليه مشيراً — كلما واتت المناسبة — إلى بعض الأسرار التى أعرفها قبل هذا التاريخ بحكم عملى الصحفى . . قدمته إلى شباب هذا الجيل الذين كانوا فى مرحلة الطفولة أو المراهقة وقت نشبت الثورة . . وقد شبوا . . وانسلخت من أعمارهم أحد عشر عاما وصلت بهم اليوم إلى مرحلة الشباب فتبلورت أفكارهم فى ظل التطور الجديد مع حكم مصرى لا يخضع لعرش موروث ، على أرض جلا عنها المستعمر ، بل حاول غزوها ورد على أعقابه . . ولا تمثل فيها بريطانيا إلا سفارة ككل سفارات الدول الأجنبية

فى بلادنا . . لقد انقضى إلى الأبد ، عهد كان اعتذار السفير البريطانى فيه عن عدم مقابلة رئيس الوزراء كفيلا باستقالة الوزارة بعد ساعة واحدة كما حدث فى وزارة على ماهر صباح يوم السبت ٢٩ فبراير سنة ١٩٥٢ . وكان رأس البلاد على إستعداد لبيع الوزارات بمليون من الجنيهات يدفعها أحد رجال الأعمال . . . بل كانت كلمة من هذا المليونير مع حكومة لندن كفيلة بأن تسحب إتفاقها مع حكومة القاهرة فيضطر رئيس الوزراء إلى الإستقالة كما حدث فى وزارة نجيب الهلالى صباح يوم الأربعاء ٢٩ يونيو ١٩٥٢ .

كان الملك يترك البلاد بلا حكومة لمدة أربعة أيام لمجرد أنه يلعب على مائدة القمار هذه الأيام الأربعة فى ناد عام ، ولا يستطيع رئيس ديوانه أن يقابله . ولا يعرض عليه أسماء الوزراء إلا بعض سماره الذين يشاركونه اللهو والعبث والسرقات من أموال هذا الشعب . كما حدث فى وزارة حسين سرى من يوم ٢٩ يونيو إلى يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٢ .

أردت أن أقدم هذا التحقيق لشباب عام ١٩٦٤ الذى يعيش تطوراً تحكم فيه بلاده لصالح الطبقات المغلوبة على أمرها ، والتى طال أمد استعبادها واستغلالها . . وتتحقق خلاله أهداف كانت مستحيلة المنال ، أولها تقريب الفوارق بين الطبقات ثم تذويبها على الأجل البعيد . وثانيها مضاعفة الدخل القومى بزيادة الإنتاج . وثالثها

مراعاة العدل فى توزيع دخل هذا الإنتاج . ومن أجل هذا تحددت الملكية الزراعية ، ووزعت الأراضى على المعدمين ، وسيوزع مليونان من الأفدنة من الأرض الجديدة التى سينبتها السد العالى « ثلث مساحة الأراضى المنزرعة » . ومن أجل هذا قامت فى البلاد سبعمائة من المصانع خلال إحدى عشر عاما . ومن أجل هذا وجدت الملكية الجماعية . ملكية الشعب لوسائل إنتاجه مع الرقابة عليها . ومن أجل هذا تضاعفت ميزانية الخدمات فى الدولة ووصلت إلى ٥٠٠ مليون جنيه . ومن أجل هذا يشارك العامل فى إدارة المصنع وفى أرباح المصنع . ومن أجل هذا أصبح التعليم مجانيا فى جميع مراحله . ومن أجل هذا وضع حد أعلى لدخل الفرد بفرض الضرائب التصاعدية . وأصبح المجتمع الإشتراكى حقيقة تتلمس طريقها إلى النور ، وتقع فى تجربة الخطأ والصواب ، وتقاوم أمراضا عريقة تكاثرت فى جسد المجتمع على مر العصور ، وظهرت فى سلوكه ولا تزال آثارها تنتظر دورها فى عملية التطهير .

أقدم هذا التحقيق لشباب عام ١٩٦٤ حتى لا يستهين بالمكاسب الضخمة التى حققها مجتمعه الجديد . وحتى يتنبه إلى واجبه الحتمى الخطير فى حماية هذه المكاسب الغالية من الإنحراف بها إلى الغواية والهلاك . . أن كل مواطن مطالب بأداء واجبه فى هذه المعركة . وأول واجباته أن يشارك فى حرب أمراضنا الإجتماعية التى لا تزال

راسبة فى بعض النفوس . فالمجتمع لن يتحول من السواد إلى البياض فى يوم وليلة . فى سنة أو فى عشر سنوات . إن التطور الجذرى الذى اقتلع أسس المجتمع القديم ، مهد الطريق لبناء المجتمع الجديد وواجبنا ان نحمى هذا الطريق من قطاع الطريق . أن نحمى البناء من المتسلقين إلى النوافذ . أن نحافظ على حرمة بيتنا الكبير . وحاجتنا الأولى إلى القدوة الحسنة . فى العمل . فى السلوك . فى نظافة القلب . فى التفكير الجماعى . فى الإنسلاخ من الذاتية والفردية . فى الترابط والتآخى . فى تكافؤ الفرص . فى الكلمة الحرة . فى الرأى المتحرر من الملق والخوف . فى النقد والنقد الذاتى . فى حماية الضعيف . فى إطلاق لسان المظلوم . فى طهارة اليد والصدور .

ان شباب ١٩٦٤ لم يعان ما عانيناه . لم يواجه بصحافة العالم تصف بلادنا بأنها أرض الرشوة . وتصف حكوماتنا بأنها حكومات ملك عربيد . كانت كلمة « باشا » فى صحف العالم تعنى كلمة « لص » مصر التى بشرت الإنسانية بأول حضارة عرفتها البشرية منذ خمسة آلاف سنة أصبحت مضغة فى الأفواه . كنا نخجل من أنفسنا ونحن نواجه بفضائح الحكم والعرش فى أى بلد نحل به . أصبحنا اليوم كيانا دوليا له احترامه من أكبر دولتين فى العالم . حملنا رسالة تجربة رائدة فى السياسة العالمية وفى التطور الداخلى . هذا العملاق الذى نما وقويت عضلاته فى أحد عشر عاما حتى استطاع أن يطلق

الصواريخ . . . لا تتكون عضلاته إلا من أبناء هذا الوطن . العضلة التي يصيبها المرض ، تضعف العضلة التي تجاورها . علينا أن نتنبه دائماً . أن نحمي أنفسنا من أنفسنا . أن ننمي قوتنا بمحاربة شهواتنا . لقد تبددت حضارتنا واضمحلت في مصر القديمة بعد أن أكلتنا الشهوات . وقامت حضارة العرب لتمتد وتضيء أكبر رقعة من الأرض ثم هزلت وتفككت بعد أن أعمتنا الأطماع . . وهذه هي النهضة الثالثة في تاريخنا . . نتشبث بها ، ونلتفت حولها لنحميها ونحمي أنفسنا والأجيال المقبلة .

إنني أرتعد عندما أتصور شباب ١٩٦٤ ، لا يقدر هذا التطور الخطير قدره ، لأنه نما وكل الأحداث حوله تحاول أن تقدم إليه حقه في الحياة والعمل والفرصة المتكافئة ، لأنه لم يع تاريخه القريب قبل الثورة ، ويعرف كم عانى الجيل الذي سبقه وكيف كانت تحكم بلاده ؟

إن مشروع تحديد الملكية الزراعية الذي قدمه النائب الإشتراكي إبراهيم شكري قبل الثورة لم يجد صوتا في البرلمان يؤيده . وهكذا كان خطر مشروع المرحوم الشيخ محمد خطاب .

إن مطالبة الدكتور أحمد حسين وزير الشئون الإجتماعية في حكومة الوفد عام ١٩٥٠ بوضع حد أدنى لأجور العمال ، جعلت

زملاءه الوزراء قادة حزب الغالبية يطلقون عليه لقب الوزير الأحمر .

إن المجانية فى الجامعة كانت تمنح لأبناء الوزراء والإقطاعيين .

إن تقدير شباب ١٩٦٤ لحاضرهم ، لن يتأكد إلا إذا القوا نظرة على ماضيهم .

والفترة ما بين ٢٦ يناير ١٩٥٢ حتى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ كانت هى فترة مرض الموت . إنها الصورة الواضحة للنهاية المفجعة . نهاية كفاح ثورة ١٩١٩ .

إن قراءة هذا التحقيق الذى تضمه صفحات هذا الكتاب ، تؤكد حقيقة واحدة . . . وهى أن الثورة وعزل فاروق ، وتحطيم عقل الماضى ، كانت هى العلاج الحتمى الوحيد .

لقد تآمر فاروق مع السفير البريطانى لإجبار على ماهر على الاستقالة .

ثم تآمر فاروق وحاشيته مع السفير البريطانى مرة ثانية لإجبار نجيب الهلالى على الاستقالة .

ثم كانت كبرى النكبات عندما أصبح كريم ثابت وزيرا فى وزارة حسين سرى . . . وتصور فاروق أن التنكيل بعدد من ضباط الجيش ، سيحمى العرش من ثورة لا مهرب منها .

ثم جاء نجيب الهلالى مرة ثانية وفى وزارته زوج أخت فاروق

وزيرا للحربية . . وكانت الثورة قد أطلقت صيحتها الأولى . .

ولو كان قد قدر لهذه الوزارات أن تستمر لسنوات .. ولو كان قدر لفاروق أن يبتعد بلهوه وعبثه وشروره عن الحكم .. لما كان هناك مفر أيضا من الثورة . .

ولماذا ؟ ؟

دليل ذلك ما حدث بعد الثورة . وبعد أن أتت الثورة بعلى ماهر رئيسا للحكومة .

لقد كنت قريب الصلة بعلى ماهر فى وزارته الأولى وفى وزارته الثانية بعد الثورة .

وهو سياسى ارتبط اسمه فى ذهن الشعب بعداوة القصر والاستعمار له ، وقدرته على الإصلاح . ولكن ماذا جرى بعد أن تولى الحكم فى ظل الثورة ؟ . .

لقد اعترض على ماهر على قانون الإصلاح الزراعى . وعقد اجتماعا لكبار الإقطاعيين فى دار مجلس الوزراء لأخذ رأيهم فى المشروع . وسافر إلى مرسى مطروح — وكنت معه — واجتمع بعدد كبير من ضباط الجيش هناك ليخلق رأيا عاما ضد القانون . . كل ذلك لسبب بسيط ، هو اختلاف التفكير بين على ماهر السياسى المخضرم ، وبين الثورة الشابة .على ماهر من شيوخ مدرسة الإصلاح

البطىء الخائف ، المبقى على الأوضاع كما هى ، والثورة رائدة لتغيير جذرى يقرب الفوارق بين الطبقات .

وكان اللقاء بين الأثنين هو اللقاء المستحيل . .

ولم ينفرد على ماهر بهذا الرأى . كان حزب الغالبية يريد حماية الإقطاع وفشلت كل المباحثات بين الثورة وحزب الوفد لتبنى الإصلاح الزراعى .

فما بالنا . . والعرش اللاهى العابث على رأس الدولة ؟

لقد أحترقت القاهرة . وكانت البلاد على شفا إضطرابات خطيرة كان يمكن أن تتطور إلى حرب أهلية دموية . . ومع ذلك ماذا فعل فاروق مع الوزارات التى جاءت بعد حريق ٢٦ يناير ؟

فى وزارة على ماهر . . .

* طلب كريم ثابت عميل فاروق تعيين نفسه وزيرا . .
* طلب فاروق تعيين كامل القاويش نائبا عاما . .
* أصر فاروق على تعيين أحمد طلعت حكمدارا للقاهرة .
* أصر فاروق على إعادة عبد الفتاح عمرو إلى لندن .
* أتفق فاروق مع السفير البريطانى على عدم التفاوض مع على ماهر .

* رفض فاروق أن يقابل على ماهر بعد أن نجحت مناورة مرتضى المراغى وزكى عبد المتعال .

وماذا فعل على ماهر من جانبه ؟

* إضطر أن يهادن الوفد وبذلك أسدل ستارا على فساد الحكم .
* إضطر أيضا أن يهدد الوفد بحل البرلمان ، لأنه وجد وزارته تحت رحمة الوفد من غير تأييد من القصر .
* إضطر أن يعين أحمد طلعت حكمدارا للقاهرة وأن يعيد عبد الفتاح عمرو إلى لندن .
* إضطر أن يستقيل يوم أن امتنع السفير البريطانى عن الإجتماع به . ورفض فاروق أن يقابله .

وفى وزارة نجيب الهلالى . .

* طلب فاروق تعيين الدكتور النقيب وزيراً للصحة .
* ورفض فاروق تعيين محمود محمد محمود وزيراً لأنه عرف بمقاومته لفساد فاروق .
* تآمر فاروق مع السفير البريطانى على إفشال المباحثات .
* إتفق فاروق على بيع وزراة الهلالى بمليون من الجنيهات .

وماذا فعل الرهلاى من جانبه

لم يستطع أن يفرض شروطه وهى طرد رجال الحاشية وعدم تدخل الملك فى تعيين الوزراء .

عجز عن أن يدخل الوزارة الأشخاص الذين شنوا الحملات الجريئة ضد الملك فى الصحف والبرلمان أمثال مصطفى مرعى ومحمود محمد محمود وعبد السلام الشاذلى .

* فشلت سياسة بدء التطهير من حزب الوفد لينتهى إلى رجال الحاشية . .

وفى وزارة حسين سرى . .

* جاءت الوزارة ومعها نذير فشلها وهو تعيين كريم ثابت وزيراً .
* كان إلياس أندراوس وكريم ثابت هما رسولا الوزارة لدى فاروق .
* حل فاروق نادى ضباط الجيش بدون علم الوزارة .
* تصور فاروق أن الإطاحة بمحمد نجيب هى القضاء على ثورة الجيش . فقد كان الفهم الخاطىء أن محمد نجيب هو قائد الضباط الأحرار . . ولذلك أصر على ذلك حتى استقالت الوزارة .

* قبل الحكم وهو يعلم أن فاروق لن يتغير من تجاربه المريرة معه وهو رئيس ديوان .

* قبل كريم ثابت وزيراً . .

* قبل إلياس أندراوس رسولا بين الوزارة والقصر .

* أصر على تعيين محمد نجيب وزيراً للحربية متصوراً خطئاً أنه قائد الضباط الأحرار .

* * *

وهكذا يبدو واضحاً أن الوصول إلى وزارة لا تخضع لنزوات فاروق كان مستحيلا ، حتى ولو أصبح كريم ثابت وزيراً . .

وكانت البلد تغلى . . وكان الشعب يزمجر كالبركان فى كل مكان . وكان يأمل فى حكومات تعبر عنه . . تثور مثل ثورته . . تلتهب مثل التهابه . تقف فى وجه فاروق وقفة حياة أو موت . . ولكن ما حدث كان مناورات سياسية . من سياسيين ألفوا هذا الأسلوب لسنوات طويلة ، وحكمتهم تقاليد معينة سرت فى دمائهم . . فكان أكثرهم نظافة ووطنية لا يستطيع أن يكون معبراً عن آلام الشعب وسخطه .

كانت الفرصة أمام حافظ عفيفى أن يستقيل أكثر من مرة . .

ولكنه لم يفعلها . . وقال أخيراً أن البلد يحكمها خادم . . ومع ذلك لم يستقل حتى جاءت الثورة .

وكانت الفرصة أمام على ماهر بعد حريق ٢٦ يناير أن يضع خروج رجال الحاشية شرطاً لقبوله الوزارة . ولكن الرجل لم يفعل . كان مبعداً عن الحكم عشر سنوات وكان يتصور أنه سيكسب فاروق إلى جانبه ، ويستطيع بالسياسة أن يتخلص من رجال الحاشية . . ولم يتحقق تصوره . .

وكانت الفرصة أمام نجيب الهلالى أن يعلن أسباب استقالته على الملأ . . . ولكنه لم يفعل ودفعته الظروف أن يدعو إلياس أندراوس إلى حفل رسمى وأن يقبل دعوته إلى منزله . .

وكانت الفرصة أمام حسين سرى أن يصمم على عدم تأليف الوزارة بعد أن تركه فاروق أربعة أيام متصلة دون أن يوافق على وزرائه . . ولكن حسين سرى قبل الوزارة بعد ذلك وعين كريم ثابت وزيراً معه . .

وحتى فى وزارة نجيب الهلالى الأخيرة ، فات هذا الرجل المحنك أن تعيين زوج أخت الملك وزيراً للحربية ، سيطبع الوزراء بصورة بغيضة فى قلوب الشعب وضباط الجيش . .

خلاصة القول أن هذه الوزارات لم ترتفع إلى مستوى الموقف بإرادتها أو على الرغم منها . .

وأصبح الحكم أضحوكة يتندر بها الناس . . الذين كانوا لا يستبعدون تكليف أنطون بوللى قواد فاروق بتأليف الوزارة .

واستهان فاروق بأقدار الناس وبكرامة هذا الشعب . ولم يدرك أنه يكتب كل يوم سطراً فى وثيقة تنازله عن عرشه . .

وأدرك الساسة أن المركب غارقة ، ولم يدركوا أن كلا منهم أسهم فى اغراقها . .

وكل ذلك كان توقيتاً ناجحاً لانطلاق ثورة الجيش ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . .

* * *

لقد قطعنا شوطاً ضخما بعد أحد عشر عاما من الثورة . . ولكن الطريق لا يزال طويلا . وشباب ١٩٦٤ الذين لم يعيشوا تلك السنوات العجاف ، عليهم أن يتعمقوا فى دراسة تاريخهم . . ليستلهموا القوة التى يصنعون بها حاضرهم ، ويحمون بها مستقبلهم .

ولا قوة إلا فى العمل . وحرية الكلمة . والقدوة الصالحة . ومواجهة الأخطاء بشجاعة وجرأة وصراحة .

إننى أكتب هذه الأسطر وانتخابات مجلس الأمة على الأبواب .

إن آمال الشعب تعقد رجاءها أن يكون المجلس الجديد ، أداة

رقابة فعالة ، وميدان تعبير صادق صريح ، وشعلة حية تضيء الطريق وتتعقب كل إثم فى حق هذه الأمة .

نسأله تعالى أن نهتدى ، وأن نفتح قلوبنا على أخطائنا ، قبل أن تباهى عيوننا بالحسنات .

إن قلب المؤمن ، هو عقل المصلح ، فى تطورنا إلى مجتمع أفضل وعيش أسعد وحياة دعامتها الحب .

فهرس

ص

الإهداء ٤
هذه السطور لمن ؟ ٥
كيف احترقت القاهرة ٩
كيف تألفت وزارة على ماهر يوم حريق القاهرة ٣٠
مهادنة للجميع ٤٢
خمس أزمات حطمت وزارة على ماهر ٦٤
كيف تألفت وزارة نجيب الهلالى الأولى ؟ ٩٠
لماذا فشلت وزارة الهلالى ؟ ١٠١
ثم فشلت وزارة حسين سرى ١٤٧

مطابع دار القلم بالقاهرة.